سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب (١)

الفقه في الدين عصمة من الفتن

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

ح المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد في حوطة سدير، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان

سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب./ صالح بن فوزان الفوزان.- حوطة سدير، ١٤٢٥هـ.

١٢٨ ص ، ١٧ × ٢٤سم

ردمك : ٤ - ١ - ٩٦٠٧ - ٩٩٦٠

١ - الشباب ٢ - الوعظ والإرشاد

أ - العنوان

ديوي ٢١٩,١ ١٤٢٥/٧٤٨٢

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٧٤٨٢

ردمك : ٤ - ١ - ٩٦٠٧ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

يسمح بطبعه بعد الإذن الخطي من جهة الإصدار

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

إذن خطي من المؤلف فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان وفقه الله

الحمد لله وبعد فقد أذنت للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في حوطة سدير بطباعة محاضراتي الأربع:

١ - الوسطية في الدين عصمة من الفتن
٢ - الاجتماع ونبذ الفرقة
٣ - الجهاد أنواعه وأحكامه
٤ - الذكر وفضائله

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
في ١٤٢٥/٩/١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، نبينا وإمامنا محمد ابن عبدالله الذي بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فلا يخفى على الجميع أهمية العلم الشرعي المبني على الكتاب والسنة، وشدة حاجة الناس إليه ، كما لا يخفى فضل وفائدة نشر الكتب النافعة التي تنشر المنهج القويم وتبيِّن سماحة الإسلام في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن ودعاتها وكثر فيها المتعالمون والمفتون بغير علم ، وذلك في أمور خطيرة لا ينبغي أن يتكلم فيها إلا الراسخون في العلم ؛ لذا فالمكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بحوطة سدير - بعون الله وتوفيقه - اعتزم طباعة ونشر الكتب التي تفيد الناس في هذا الباب وخاصة الشباب، وقد وقع الاختيار على كتب لمعالي الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء ، وهي الكتب التالية :

١- الفقه في الدين عصمة من الفتن ٢- الاجتماع ونبذ الفرقة

٣- الجهاد أنواعه وأحكامه ٤- التكفير وضوابطه

لما تشتمل من فوائد جليلة وتوجيهات سديدة، وقد جمعها المكتب في كتاب واحد بعنوان «**سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب**»، وهو الإصدار الخامس والثلاثون للمكتب.

فيطيب لنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الوفير بعد شكر الله سبحانه وتعالى لمعاليه على تفضله بالإذن للمكتب بطباعتها ، والشكر موصول لفضيلة الشيخ / عادل بن علي الفريدان على جمعه السابق لبعضها ، وإذنه للمكتب بإعادة إخراجها وإعدادها مرة أخرى ، والله نسأل أن ينفع بها ، وأن يرزقنا الإخلاص والسداد في القول والعمل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

القسم العلمي

بمكتب الدعوة وتوعية الجاليات بحوطة سدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الفقه من الدين عصمة من الفتن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى مَنَّ علينا بالإسلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٥] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة :٣] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران :١٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥]، وقال تعالى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج :٧٨] .

إن نعمة الإسلام نعمة لا يعدلها شيء من النعم الأخرى ، وإن كانت نعم الله عظيمة ، لا تُحْتَقَر ولا تستصغر ، بل يجب أن تذكر وتشكر ، ولكن نعمة الإسلام هي أعظم النعم ، الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ ، فبعثة هذا الرسول ﷺ أيضاً نعمة عظيمة ؛ لأنه هو الذي بيَّن هذا الإسلام وجاء به، ودعا إليه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، ولكن هناك صوارف وعوارض تعرض للإنسان قد تخرجه من هذا الإسلام ـ إن كان من أهله ـ أو تضعفه في قلبه ، أو تصُدُّه عن الدخول فيه ، إن كان ليس من أهله .

هناك فتن عظيمة تعرض للإنسان ، فيجب عليه أن يكون على معرفة بها، وعلى حذر منها ، كما يجب عليه أن يعرف ما هو المخرج منها إذا ابتلي بها .

ومن هنا كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن أقع فيه .

فمعرفة الإسلام أولاً والتبصر فيه، ومعرفة أحكامه وتفاصيله أمر واجب، ثم أيضاً معرفة ما يَصْرِف عنه ويحول بين العبد وبينه ، أو ما يُضَعِّفُه في قلبه من الآفات ، فيعرف المنافع ويعرف المضار ، من أجل أن يأخذ بالمنافع ويتجنب المضار ، فإنه إذا لم يعرف الأمور الضارة والأمور المضللة ، ربما أنها تُهلكه وهو لا يدري ، والله جل وعلا أمرنا أن نتمسك بهذا الدين إلى الوفاة، قال تعالى : ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ولا شك أن البقاء على الإسلام بيد الله سبحانه وتعالى ، فنحن لا نملك أن نبقى

عـلى الإسـلام إلى أن نموت ، وإنما هذا بيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن معنى هـذا : أنـنا نـأخذ بالأسباب التي تسبب البقاء على هذا الإسلام إلى الموت : الأسباب الواقية ، فإذا أخذنا بالأسباب فإن الله سبحانه وتعالى بمَنِّه وفضله يـتمم عليـنا نعمته ، ويتوفانا على الإسلام ؛ لأننا بذلنا الأسباب ، وسعينا في الـنجاة ، والله جـل وعـلا حليم كريم ، إذا رأى من عبده حرصاً على الخير ورغـبة فـيه ، وبغضـاً للشر وخوفاً منه، فإن الله سبحانه وتعالى يسدده ويقيه ويحميه ، ويُسلِّم له دينه ، ويتمم له بخير .

أما إذا رأى من عبده إعراضاً ، وعدم رغبة في الخير ، وعدم كراهية للشر، فـإن الله سبحانه وتعالى يولِّهِ ما تولى ؛ عقوبة لـه وعدلاً منه سبحانه وتعالى ، قـال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء :١١٥] ، فصار السـبب مـن قـبل العبد ، يشاقق الرسول ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، السبب مـن قِـبَلِه، والعقوبـة من الله سبحانه وتعالى : ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ .

والفتن جمع فتنة ، والفتنة معناها: الامتحان والابتلاء؛ ليظهر بذلك صدق الإيمان أو النفاق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكـبوت :١٠]، فـلا يصـبر عـند الفـتن ليثبـت عـلى الحـق ، وإنمـا يفر من دينه ويطاوع للصوارف ، يظن أنه بذلـك ينجو ، وإنما خرج من شر إلى ما هو شر منه ـ كالمستجير من الرمضاء بالـنار ـ جعل فتنة الناس كعذاب الله ، وهل فتنة الناس تعادل عذاب الله ؟! إنـه إذا ترك دينه ، وتجاوب مع الفاتنين وطاوعهم خرج إلى عذاب الله ، ولو

أنـه صبر على أذى الناس ، وصبر على أذى العباد ، وتمسك بدينه لكان هذا الألم الـذي يلاقـيه مؤقتاً ، والفرج قريب، والعاقبة حميدة ، ولكنه بالعكس لم يصـبر عـلى أذى الناس وفتنة الناس ، بل أطاعهم في معصية الله ، وأجابهم إلى ما سألوا من الكفر بالله ، فصار إلى عذاب الله المؤلم .

فالفتـنة : هي الابتلاء والامتحان ؛ ليظهر بذلك الصادق في إيمانه، الثابت على عقيدته من المذبذب المزعزع ، الذي تعصف به أول عاصفة من الفتن .

وأمـا الفقـه في الدين ، **فالفقه لغة** : الفهم ، **وشرعاً** : الفهم في أحكام الله عز وجل ، الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن الله أنزل هذا القرآن وأنـزل السـنة النـبوية هـدىً للـناس ، فـيها الهدى ، وفيها بيان كل شيء مما يحـتاجه العـباد في أمـور دينهم ، وما يسعدهم في الدنيا والآخرة ، ضمَّن الله هذا الكتاب كل ما يحتاجه البشر ، فيه الكفاية، وإلى جانبه بيان الرسول ﷺ ، وسـنة الرسـول المبيـنة للقـرآن ، المفسـرة للقـرآن ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل :٤٤] .

فالرسول مبيِّن ومبلِّغ ومفسِّر لهذا الكتاب العظيم ، فالكتاب والسنة فيهما الهداية من الضلال ، وبيان طريق الخير وطريق الشر .

فالفقـه في الديـن : هـو أن نعقـل ونفهـم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حكـم مـا يَعـرضُ لـنا مـن المشـكلات ، ومـا يُعرَضُ علينا من الفتن ، حتى نتجنـبها ونأخذ طريق النجاة ، هذا هو الفقه في الدين . والله تعالى أمر بالفقه في الديـن ، وذم الذين لا يفقهون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] . ووصـف المنافقين بأنهم لا يفقهون ، يعني : لا

يفهمون أحكام الله سبحانه وتعالى ؛ لأنهم لم يريدوا ذلك ، ولم يلتفتوا إليه ولم يهتموا به ، فصاروا لا يفقهون .

والفتن كثيرة ، وتكثر وتعظم وتتجدد في آخر الزمان . الفتن كثيرة والإنسان يعايش الفتن كل حياته ، ولكن مُقِل ومُستكثر ، والله سبحانه وتعالى أخبر أن المال والأولاد فتنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن :١٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون :٩] .فالأموال والأولاد فتنة ، مَنْ آثر حب المال وحب الولد وحب البلد وحب العشيرة وحب التجارة وحب المساكن على محبة الله ورسوله ؛ فليرقب أسوأ النتائج ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة :٢٤] .

فالأموال والأولاد فتنة ، والزوجة فتنة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [التغابن :١٤] ، لا تؤثروا محبتهم على محبة الله ورسوله، لا تؤثروا طاعتهم على طاعة الله ورسوله، لا تنشغلوا بهم عما يقربكم إلى الله سبحانه وتعالى، احذروا ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ ليس معنى احذروهم : أنكم تعادونهم وتبتعدون عنهم ، وتقاطعونهم ، لا ، معناه : أنكم تحذرون فتنتهم ، وتحذرون الانحياز معهم ؛ إذا تعارضت محبتهم مع محبة الله ورسوله ، بل قدموا محبة الله ورسوله على محبة الأموال والأولاد،

أنـه صبر على أذى الناس ، وصبر على أذى العباد ، وتمسك بدينه لكان هذا الألم الـذي يلاقـيه مؤقتاً ، والفرج قريب، والعاقبة حميدة ، ولكنه بالعكس لم يصـبر عـلى أذى الناس وفتنة الناس ، بل أطاعهم في معصية الله ، وأجابهم إلى ما سألوا من الكفر بالله ، فصار إلى عذاب الله المؤلم .

فالفتـنة : هي الابتلاء والامتحان ؛ ليظهر بذلك الصادق في إيمانه، الثابت على عقيدته من المذبذب المزعزع ، الذي تعصف به أول عاصفة من الفتن .

وأمـا الفقـه في الدين ، **فالفقه لغة** : الفهم ، **وشرعاً** : الفهم في أحكام الله عز وجل ، الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن الله أنزل هذا القرآن وأنـزل السـنة النـبوية هـدىً للـناس ، فـيها الهدى ، وفيها بيان كل شيء مما يحـتاجه العـباد في أمـور دينهم ، وما يسعدهم في الدنيا والآخرة ، ضمَّن الله هذا الكتاب كل ما يحتاجه البشر ، فيه الكفاية، وإلى جانبه بيان الرسول ﷺ ، وسـنة الرسـول المبيـنة للقـرآن ، المفسـرة للقـرآن ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل :٤٤] .

فالرسول مبيِّن ومبلِّغ ومفسِّر لهذا الكتاب العظيم ، فالكتاب والسنة فيهما الهداية من الضلال ، وبيان طريق الخير وطريق الشر .

فالفقـه في الديـن : هـو أن نعقـل ونفهـم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حكـم مـا يَعـرضُ لـنا مـن المشـكلات ، ومـا يُعرَضُ علينا من الفتن ، حتى نتجنـبها ونأخذ طريق النجاة ، هذا هو الفقه في الدين . والله تعالى أمر بالفقه في الديـن ، وذم الذين لا يفقهون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [الـتوبة: ١٢٢] . ووصـف المنافقين بأنهم لا يفقهون ، يعني : لا

يفهمون أحكام الله سبحانه وتعالى ؛ لأنهم لم يريدوا ذلك ، ولم يلتفتوا إليه ولم يهتموا به ، فصاروا لا يفقهون .

والفتن كثيرة ، وتكثر وتعظم وتتجدد في آخر الزمان . الفتن كثيرة والإنسان يعايش الفتن كل حياته ، ولكن مُقِل ومُستكثر ، والله سبحانه وتعالى أخبر أن المال والأولاد فتنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن :١٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون :٩] .فالأموال والأولاد فتنة ، مَنْ آثر حب المال وحب الولد وحب البلد وحب العشيرة وحب التجارة وحب المساكن على محبة الله ورسوله ؛ فليرقب أسوأ النتائج ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة :٢٤] .

فالأموال والأولاد فتنة ، والزوجة فتنة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [التغابن :١٤] ، لا تؤثروا محبتهم على محبة الله ورسوله، لا تؤثروا طاعتهم على طاعة الله ورسوله، لا تنشغلوا بهم عما يقربكم إلى الله سبحانه وتعالى، احذروا ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ ليس معنى احذروهم : أنكم تعادونهم وتبتعدون عنهم ، وتقاطعونهم ، لا ، معناه : أنكم تحذرون فتنتهم ، وتحذرون الانحياز معهم ؛ إذا تعارضت محبتهم مع محبة الله ورسوله ، بل قدموا محبة الله ورسوله على محبة الأموال والأولاد،

وحينئذ يصلح الله لكم الأموال ويصلح لكم الأولاد ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن :١٤-١٦] .

الواجب على المسلم في هذا الموقف : أن يتقي الله ما استطاع ، وألا يقدم محبة زوجته إذا تعارضت مع محبة الله ، أو محبة ولده ، أو محبة ماله؛ إذا تعارض ذلك مع ما يحبه الله عز وجل ، بل يقدم ما يحبه الله عز وجل، وبذلك يصلح الله له ماله ، ويصلح له زوجته ، ويصلح له أولاده.

الخير والشر فتنة ، قال تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء :٣٥] ، الخير الذي هو المال والغيث والخصب والنِّعَم ، والشر الذي منه الابتلاء والامتحان ، والقحط والجوع والمرض ، هذا كله فتن تعرض على الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ، وكذلك الطاعة والمعصية فتنة ، والإنسان يؤمر بالطاعة، وينهى عن المعصية ، تَعْرِض له الطاعة ، يأتي وقت الصلاة والعبادة ، ويأتي وقت اللذة والأكل والشرب والاستمتاع وغير ذلك ، فأيهما يقدم؟ هذا ابتلاء وامتحان ، ابتلاء وامتحان من الله سبحانه وتعالى ، الناس بعضهم لبعض فتنة ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] .

فالناس يبتلي الله سبحانه وتعالى بعضهم ببعض، يبتلي المؤمن بالكافر، ويبتلي المؤمن بالمنافق ، يبتلي عباده بعضهم ببعض ، قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد :٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ ﴾ [الفرقان :٢٠] .

فالمؤمن والمسلم يبتلى بأعدائه من الكفار والمنافقين والعصاة ؛ ليتجَلَّى موقفه منهم بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد ، أو الاستسلام والإخلاد إلى الراحة ، فإن كانت الأولى ـ وهي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد ـ كان على خير ، ونجح في الامتحان ، وإن كانت الثانية ـ وهي الاستسلام والإخلاد إلى الراحة وعدم التعرض للناس وهم على شرهم، وعدم دعوتهم إلى الله ، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الجهاد في سبيل الله ، إنما استسلم وأخلد إلى الراحة ـ كانت الخسارة والإخفاق في الامتحان ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان :٢٠] ، كذلك يبتلي الغني بالفقير ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام :٥٣] .

الكفار يحتقرون فقراء المسلمين ، ويقولون : أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا ؟ هؤلاء ناس فقراء، ليس بأيديهم شيء ، كيف يكونون هم على الهدى ونحن على الضلال ؟ نحن أهل المال ، ونحن أهل الثروة ، ونحن أهل الرئاسة وأهل الرأي وأهل الحل والعقد ، وهؤلاء فقراء مساكين ، ومع هذا يزعمون أنهم خير منا ، وأنهم ... ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ﴾، يقول الله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾، الله جل وعلا لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فالفقير الشاكر ، المؤمن بالله ، الراغب في الخير، هذا هو ولي الله عز وجل ، أما المستكبر والمتعالي على الحق ، الذي أُعجِبَ بماله ونفسه وجاهه ، ولم يقبل الحق ، فهذا لا يساوي عند الله شيئاً ، وإن كان يساوي عند نفسه شيئاً كبيراً ، فإنه لا يساوي عند

الله شيئاً ، قال تعالى : ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ يعني : هؤلاء حصلوا على الهداية دوننا ؛ وهم بهذه الحالة من الفقر و الفاقة والحاجة ، نحن أعز منهم ، ونحن أكبر منهم ، هذا بزعمهم ؛ لأن المقاييس عندهم مقاييس الغنى والثروة والجاه ، وليست مقاييس القلوب والأعمال ، أما المقاييس عند الله جل وعلا فهي القلوب والأعمال « ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ، والله جل وعلا يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي هذا الدين إلا لمن يحب ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ .

كذلك من أعظم الفتن فتنة التفرق والاختلاف ، وظهور الفرق والجماعات ، هذا من أعظم الفتن ، وهذا شيء أخبر عنه النبي ﷺ ، فإنه ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة» السمع والطاعة ، يعني : لولاة أمور المسلمين ؛ لما في ذلك من اجتماع الكلمة، وقوة الأمة ، وهيبة الأمة أمام أعدائها ، إذا اجتمعت تحت قيادتها ، وتحت ولايتها المؤمنة ، فإن ذلك يجعل للأمة هيبة وقوة « والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد » يعني : لا تحتقروا ولي الأمر مهما كان ، بل اسمعوا وأطيعوا ، ما دام أنه يأمر بطاعة الله « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً » هذا خبر منه ﷺ بوقوع الاختلاف بين المسلمين ، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فلابد أن يقع ما أخبر به ﷺ إن عاجلاً أو آجلاً . « فسيرى اختلافاً كثيراً » ، ما قال : سيرى اختلافاً فقط ، بل قال : كثيراً ، ثم أرشد

ﷺ إلى ما ينجي من شر هذا الاختلاف ، فقال : « **فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** » ، هكذا أخبر ﷺ عن وقوع الاختلاف في الآراء والأفكار ، والمذاهب والجماعات والفرق ، لكنه أوصى عند ذلك بالتمسك بكتاب الله وسنته ﷺ ، وما كان عليه خلفاؤه الراشدون ؛ فإن ذلك ضمانة النجاة لمن عمل به ، أما من أفلتت يده من سنة رسول الله ﷺ ومنهج الخلفاء الراشدين ، فإنه سيضيع مع هذه الفرق المختلفة . وكان ﷺ يقول في خطبه ومحادثاته : « **إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار**»، فبيَّن ﷺ أسباب النجاة من الفتن وهي : التمسك بكتاب الله ، والتمسك بهدي رسول الله ﷺ ، والحذر من محدثات الأمور ، « **إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها** » ، ثم قال : «**وعليكم بالجماعة**» .

هذا أيضاً من أسباب النجاة ، أن المسلم عند ظهور الافتراق والاختلاف، والجماعات المتنوعة ، يكون مع جماعة المسلمين ، الجماعة التي كانت تسير على خطى الرسول ﷺ ، وعلى منهج الرسول ﷺ ، لا يسير على منهج المتكلمين ، أو الجدليين ، أو المبتدعين ، وإن تسَمَّوا بأسماء براقة خداعة ، إلا أنها لا تغر أهل الإيمان ، فأهل الإيمان يأخذون بما أوصى به الرسول ﷺ : «**وعليكم بالجماعة**» جماعة المسلمين ، وهذا مثل قوله ﷺ في حديث افتراق الأمة ، قال : « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت**

النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : « مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، هذا مثل قوله : « وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة » ، فالجماعة : هي التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، ولو كانت قليلة ، ليس من شرط الجماعة أن تكون كثيرة ، بل من شرطها أن تكون على الحق ، ولو كانت قليلة ، والكثرة ليست دليلاً على الحق ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام :١١٦] .

ما داموا يتبعون الظن فإنهم يضلون عن سبيل الله ، ولو كانوا آلاف الألوف ، أو مئات الألوف ، أما من كان على الحق فإنه هو الجماعة، وهو الفرقة الناجية المنصورة ، وهو الطائفة المنصورة ، ما دام أنه على الحق ولو كان واحداً أو عدداً قليلاً ، هم الفرقة الناجية ، وهم الطائفة المنصورة ، وهم أهل السنة والجماعة كما قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » ، ولكن هذا يحتاج إلى صبر.

فالتمسك بما عليه الرسول ﷺ ؛ والتمسك بما عليه الجماعة ، الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، يحتاج إلى صبر ، خصوصاً في آخر الزمان ؛ لأنه في آخر الزمان المتمسك بسنة الرسول ﷺ ، الملازم لجماعة المسلمين يلقى مشقة عظيمة ، كما جاء في الحديث « أنه يحصل في آخر الزمان فتن يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر ، أو على خبط الشوك » ، يحتاج إلى صبر ، وقال ﷺ : « المتمسك بسنتي ، عند فساد أمتي ، له أجر

خمسين » ، قالوا : منا أو منهم يا رسول الله ؟ قال : « بل منكم » يعني : من الصحابة ؛ لأن الصحابة كانوا مع الرسول ﷺ وكان المناصر لهم كثيراً ، لكن المتمسك بالسنة في آخر الزمان وعند ظهور الفتن ، ليس له أنصار بل أكثر الناس أضداد له ، حتى من الذين يدَّعُون أنهم على الإسلام يكونون أضداداً له ، يخجلونه ويوبخونه ويخطّئونه ، فيحتاج إلى صبر ؛ فلذلك صار له هذا الأجر العظيم ، بسبب ثباته على الحق عند ظهور الفتن وكثرة العوارض ، ووصفهم رسول الله ﷺ بالغرباء ، قال : « **طوبى للغرباء** » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **الذين يَصْلحُون إذا فسد الناس** » ، وفي رواية : «**يُصْلِحُون ما أفسد الناس**» ، فهذا يطلعنا على أمر عظيم سيحصل في آخر الزمان ، فعلينا أن نسأل الله سبحانه وتعالى الثبات ، والوفاة على الإسلام ، وعلينا مع ذلك أن نجدّ في معرفة الحق وأهله ، ومعرفة الباطل وأهله ؛ حتى نكون مع الحق ومع أهله ، ونحذر من الباطل وأهله ، وذلك إنما يحتاج إلى الفقه في الدين .هذا لا يتأتى من جاهل ، إنما يتأتى ممن رزقه الله الفقه في الدين ، والبصيرة بالعلم النافع ، الذي يميز به بين الهدى والضلال ، وبين الغي والرشد ، وبين الحق والباطل ، فالنجاة من هذه الفتن العظيمة عزيزة ؛ وأنتم ترون الآن ما يموج به العالم من فتن عظيمة .

من الفتن : أن العالم الآن تقارب ، فصار ما يحدث في أقصاه يصل إلى أقصاه بسرعة ، ينتقل ما يحدث من الشر ، ومن الفسوق والمعاصي - ينتقل بواسطة الوسائل الحادثة الآن ، حتى يدخل في البيوت المغلقة ، وحتى يصل إلى البادية في البر ، في بيوت الشعر ، بواسطة هذه الوسائل؛ وينظرونه كأنهم حاضرون في المكان الذي حدث فيه ، لا ، بل قد يكون أوضح من المكان

الذي حدث فيه هذا الشر .

هـذا من الابتلاء والامتحان ، يموج العالم الآن بالفتن ، فتن الشهوات وما أكـثرها ، وفـتن الشـبهات والضلالات والإلحاد ، وما أكثر ذلك ! وكل هذا يصـدَّر إلى العـالم ، أقصـاه وشرقه وغربه ، جنوبه وشماله ، إلا من رحم الله سـبحانه وتعالى . هذا يحتاج من الإنسان إلى بصيرة ، يحتاج إلى أخذ الحيطة ، يحـتاج إلى معـرفة هـذه الأضـرار الوافدة ؛ حتى يتجنبها ، أما الإنسان الذي لـيس عـنده بصـيرة ، وليس عنده علم ، وليس عنده فقه، ربما يعتبر هذا من الـرقي ومـن الـتقدم . بعضهم يعتبر هذا من النعم، وأن هذه وسائل ثقافة ، ووسـائل رفاهـية ، ومـا يـدري ما ينطوي عليه هذا الأمر من الخطورة ، وما يحملـه مـن الشـر . فالأمـر عظـيم جداً ، والفتن الآن ـ كما ترونها ـ تعرض عـلى الـناس ، تعـرض عـلى القلـوب ، كما قال ﷺ : « **تعرض الفتن على القلـوب عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، حتى يصبح قلـباً مجخـياً، لا يعـرف معـروفاً ولا ينكر منكراً ، إلا ما وافق هواه ـ أو ـ ما أشـرب مـن هـواه ، وأي قلـب أنكـرها نكت فيه نكتة بيضاء ، فهو قلب لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض** » .

فالفتن هذه تعرض على قلوب الناس ، فأي قلب أنكرها ؟ ولكن القلب الـذي يـنكرها هـو القلب الفقيه المتفقه في كتاب الله عز وجل ، الذي يعرف حكـم الله في هـذه الأمـور ، أما الجاهل فقد تنطلي عليه ، وقد يعجب بها ، ويعتـبرها مـن الحضارة والرقي ، وأن الابتعاد عنها يعتبر من الجفاء والجلافة كمـا يقولـون . والحق : إنه لا عاصم من هذه الفتن إلا ما جعله الله سبحانه وتعـالى عاصـماً مـنها ، وهـو كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، قال الله تعالى :

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم :١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء :٩-١٠] . وقال سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة ـ التي هي ثانية سورة في المصحف الشريف ـ قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة :١-٥] ، ذكر الله في مطلع هذه السورة أن هذا القرآن هدى للمتقين ، للمتقين خاصة ، ثم بيَّنهم ، بيَّن من هم المتقون؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ثم حكم لهم بالفلاح والهداية : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ، ثم ذكر الصنف الثاني : وهم الكفار ، والصنف الثالث : وهم المنافقون .

ذكر الله سبحانه وتعالى أن البشر عند هذا القرآن ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً ، وهم : المتقون ، وذكر الله من أوصافهم ما ذكر .

ثم ذكر **القسم الثاني** : وهم الذين كفروا بهذا الكتاب ظاهراً باطناً وهم الكفار ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ [البقرة : ٦-٧] ، هولاء كفروا بالقرآن باطناً وظاهراً ؛ فختم الله على قلوبهم ؛ عقوبةً لهم ، فأصبحت لا تقبل الحق بعد ذلك .

والقسم الثالث : الذين آمنوا بالقرآن ظاهراً وكفروا به باطناً ، وهم : المنافقون ، وذكر الله فيهم بضع عشرة آية : من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.. إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة :٨-٢٠] .

الحاصل: أن كتاب الله فيه الهدى والنور ، يحتاج منا إلى تدبر ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ وَوَهَبْنَا ﴾ [ص :٢٩] ، فمن يريد النجاة من هذه الفتن فعليه بكتاب الله عز وجل ، عليه بكتاب الله ، ماذا؟ يجعله عنده ؟ يشتري المصحف يجعله عنده ؟! . عليه أن يقرأه ويعمل بما فيه ؛ فهو المصدر الأول للهداية والنجاة من الشرور في الدنيا والآخرة ، في هذا القرآن العظيم تدبره ، الإكثار من تلاوته ، الإكثار من العمل به ؛ من أجل أن يكون واقياً لك من هذه الفتن والشرور . وكذلك سنة الرسول ﷺ ؛ لأنها تفسر هذا القرآن وتبيِّنه وتوضحه وتدل عليه ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣:-٤] ، والنبي ﷺ يقول : «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسنتي**»، هذا الأمانة والضمانة من الفتن لمن تمسك بهما .

« **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسنتي** » ، وأخبر ﷺ في أحاديث : « **إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح**

الـرجل فـيها مؤمـناً ويمسـي كافـراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعـرض من الدنيا » ، يبيع دينه بعرض من الدنيا : يؤثر الدنيا على الآخرة ؛ فينسـاق مع الدنيا : يترك الصلاة ، يمنع الزكاة ، يعصي الله ورسوله ، ويطيع الشـيطان وأعـوان الشـيطان ؛ فيبـيع ديـنه بعـرض مـن الدنـيا ، نسـأل الله العافـيةمن هذه الفتن العظيمة . والفتن تشتد كلما تأخر الزمان تشتد الفتن ، إلى أن تـأتي الفتن الكبار المتتابعة إلى أن تقوم الساعة . فالإنسان يعايش الفتن في هـذه الدنـيا ، يعايشـها خصوصـاً أهـل آخـر الزمان أكثر معايشة للفتن ، وتكـون الفـتن في عهدهـم أكثر ؛ لقرب قيام الساعة ونهاية الدنيا . فالإنسان يعايش الفتن حتى عند الموت ، الإنسان يفتتن حتى عند الموت ، وقد يختم له بخاتمـة طيـبة ، وقـد يخـتم له بخاتمة سيئة والعياذ بالله ، وكذلك يُفتتن حتى في القـبر ، إذا وضع في قبره يُفتتن : يأتيه ملَكَان فيقعدانه، ويسألانه : من ربك؟ ومـا دينك؟ ومن نبيك؟ والسعادة والشقاوة تتوقف على الجواب. فإن قال : ربـي الله ، والإسـلام ديـني ، ونبـيي محمـد ﷺ ، فإنه ينادي منادٍ : أن صدق عـبدي فافرشوا له من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، فيفتح له من الجنة ، ويأتيه من روحها وطيبها ، وينظر إلى مساكنه في الجنة ، ويقول : يا رب ، أقم الساعة ؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، وأما إذا لم يستطع الجواب فإنه يقول : هـاه، عـند كـل سـؤال يقـول : هاه ، لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلـته ، مـا كـان يعمل عن اقتناع وعن إيمان ، وإنما كان يوافق الناس تقليداً فقـط ، أومن أجل طمع الدنيا ، منافق : يظهر الإيمان ويبطن الكفر، سمعت الـناس يقولـون شيئاً فقلته ، وهو ما يدري. فينادي مناد : أن كذب عبدي ، فافرشـوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضـلاعه ، والأول يوسـع له في قـبره مـد بصره ، ويَنظُرُ إلى مكانه في النار ،

ويقول : يا رب ، لا تقم الساعة ؛ ابتلاءٌ وامتحان حتى في القبر .

فالعبد ابن آدم معرض للفتن ؛ في حايته وعند مماته وفي قبره ، ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم : ٢٧]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢]، وقال تعالى : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] ، يعني : بسبب صبركم على دينكم ، وثباتكم على الحق في الحياة الدنيا، نلتم هذه الكرامة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ ﴾ ، ما حصَّلوا هذا الشيء عفواً ، إنما حصَّلُوه نتيجة صبر وثبات، وإيمان بالله ورسوله ، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ .

وأما الكافر ـ والعياذ بالله ـ فيقول الله تبارك وتعالى عنه : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنفال :٥٠-٥١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنعام :٩٣-٩٤] .

فالإنسان يعايش الفتن إلى آخر لحظة من حياته ، بل وعند وضعه في قبره، فالأمر يحتاج إلى اهتمام ، الفتن عظيمة ، والنجاة أولاً بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، لكن لا يحصل التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا بالتفقه في دين الله عز وجل ، فالتفقه في دين الله لا يحصل عفواً وأمانيَّ ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة :٧٨] . العلم لا يحصل بكثرة القراءة أو كثرة الكتب ، أو كثرة المطالعة ، لا يحصل العلم بهذا . إنما يحصل العلم بالتعلم على أهل العلم ، وتلقي العلم عن العلماء . فالعلم بالتلقي لا تلقائياً كما يظن بعض الناس اليوم ، بعض الناس اليوم يقتنون كتباً ، ويقرأون في كتب الحديث ، والجرح والتعديل ، والتفسير ، وكذا وكذا ، ويزعمون أنهم بذلك حصوا على علم ، لا ، هذا علم لم يُبْنَ على أساس ولا قواعد ؛ لأنه لم يتلق عن أهل العلم ، فلابد من الجلوس في حِلق الذكر وفي فصول الدراسة عند المعلمين الفقهاء العلماء ، ولابد من الصبر على طلب العلم .

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة
تجرع كأس الجهل طول حياته

لابد من الصبر ، والعلم لا يحصل بالقراءة ، ولا يحصل تلقائياً ، وإنما يحصل تلقّياً على أيدي العلماء الصالحين ، الفقهاء العارفين ، الذين يبصرون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فلابد من الانتظام في سلك التعلم ، ولابد من أخذ العلم من أبوابه

والدخول من الأبواب كما قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، فالعلم له أبواب ، وله حَمَلَة ، وله معلمون ، فلابد ـ أيها الإخوان ـ من انضمامكم لحلق التدريس ، سواء كانت في المساجد ، أو في المدارس ، أو في المعاهد ، أو في الكليات . المهم أن نأخذ العلم عن العلماء ، ما داموا موجودين وما دامت الفرصة ممكنة. أما أن نتفرق وكل واحد يجلس في غرفة ، ويجعل له مكتبة ويطالع فيها ؛ وهو لم يبن على أساس ، ولم يتعلم قواعد العلم فهذا يضيع ، فلابد من التفقه في دين الله على أيدي الفقهاء .

كذلك ـ كما أشرنا ـ من أسباب النجاة : لزوم جماعة المسلمين ، والابتعاد عن الانتماء إلى الفرق والجماعات المخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة ؛ لأن الرسول ﷺ يقول في الفرقة الناجية : « **هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، الله تعالى يقول : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠]، الذين اتبعوهم بإحسان: اتبعوا السابقين الأولين، ويقول جل وعلا : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر :١٠] يعني: بعد المهاجرين والأنصار ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أما إذا افترق الإنسان مع الفرق المخالفة، وصار يسب الصحابة ، أو يُجهِّل العلماء ، أو يجهل الأئمة أو يغلطهم ، فهذا لن يصل إلا إلى الضلال إلا إن تداركه الله برحمته ، وتاب إلى الله ، وعاد إلى جماعة المسلمين والفرقة

الناجية ، ليس هناك إلا فرقة واحدة هي الناجية ، قال رسول الله ﷺ في الفرق الثلاث والسبعين : « **كلها في النار** » ، وكونها في النار يختلف باختلاف ابتعادها عن الحق ، فمنهم من هو كافر ، ومنهم من هو ضال ، ومنهم من هو فاسق ، المهم أن الكل منهم متوعد بالنار إلا فرقة واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : « **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، الطريق واحد والجماعة واحدة، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام :١٥٣] ، صراط واحد فقط ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ ﴾ ، السبل الضالة كثيرة ليس لها عدد . والآن ترى الفرق والجماعات كثيرة ليس لها عدد ، لكن جماعة أهل السنة والجماعة واحدة، من عهد النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، كما قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله » ، نعم ، سيكون هناك من يُهوِّن من شأنهم، من يُجهِّلهم ، من يستغفلهم ، من يقول : هؤلاء ناس صالحون، ولكن ما يعرفون الواقع ولا يعرفون كذا . كل هذا يجب على المسلم أن لا يلتفت إليه «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، لا نجاة إلا بهذا : لزوم جماعة المسلمين . « **وعليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة** » ، والنبي ﷺ في أكثر من حديث حثنا على أن نكون مع الجماعة المتمسكة بطريقة النبي ﷺ وطريقة أصحابه ، وطريقة سلف هذه الأمة ؛ لأن سلف هذه الأمة هم أدرى وأقرب إلى الحق ممن جاء بعدهم ؛ ولهذا أثنى ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة ، قال : « **خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » ، قال الراوي : لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ، ثم أخبر ﷺ أن الأمر سيتغير بعد هذه القرون ، وأن الأمر

سيحدث فيه ما يحدث ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ ، فبعد انتهاء عهد القرون المفضلة حصل في الأمة ما حصل من الفتن ، ومن الدخيل ، ومن المذاهب المختلفة ، ولم يبق على الحق إلا جماعة المسلمين الذين تمسكوا بما كان عليه السلف الصالح ، ودعاة التجديد الذين يجددون هذا الدين لهذه الأمة ، ومن تبعهم وسار على نهجهم ، وهذا من نعم الله أن الخير يوجد ، مهما كثر الشر فإن الخير يوجد ؛ من أجل أن يرجع إليه من أراده ، ولأجل أن تقوم حجة الله جل وعلا على خلقه ، فمهما كثرت الفتن ومهما كثرت الشرور ، إلا أن الحق موجود والحمد لله .

لا نقول : إن الأمة الإسلامية غائبة ، كما يقول بعض الكتَّاب ، أو بعض الخطباء ، الأمة الإسلامية موجودة ولله الحمد ، « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين** » لكن الشأن بالرجوع إليها والانضمام لها.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ممن يعرفون الحق ويعملون به ويتمسكون به .

بقيت نقطة أخيرة في الموضوع : وهي أن من أسباب النجاة من الفتن ـ أيضاً ـ كثرة الدعاء ، وأن المسلم يكثر من الدعاء ، بأن يحميه الله من الفتن ، فقد قال ﷺ : « **استعيذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن** » ، وكان ﷺ في التشهد الأخيرة يستعيذ بالله من أربع ، ويأمر بذلك ، يقول : «**استيعذوا بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال** ». فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء : أن يقيه الله من شر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يُلحّ على الله سبحانه وتعالى ويكثر من الدعاء ، فإن الله سبحانه وتعالى قريب مجيب ، من لجأ إليه حماه ، ومن استعاذ به أعاذه ، ومن دعاه استجاب له ، وهو ينزل

ـ سبحانه وتعالى ـ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ويقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ، وقد فتح بابه ـ سبحانه وتعالى ـ للسائلين الليل والنهار ، ولكن هذه زيادة ، زيادة فرصة يعطيها الله لعباده ؛ رحمةً بهم .

فالمسلم يكثر من دعاء الله عز وجل في كل وقت ، ولا سيما في الحالات الفاضلة ، والأوقات الفاضلة . الحالات الفاضلة كالسجود ؛ قال ﷺ : «**وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم** » ، وقال ﷺ : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء** » ، أو كما قال ﷺ ، وفي الأوقات الفاضلة مثل : آخر الليل ـ ثلث الليل الآخر ـ وآخر ساعة من يوم الجمعة ، وأدبار الصلوات . الإنسان يلح على الله ولا يغفل ، لا يغفل عن الدعاء ، خصوصاً طلب النجاة من الفتن ؛ لأنه إذا سلم من الفتن فإنه سَلِمَ من كل شر ، إذا سلم من الفتن سلم دينه ، وإذا سلم دينه سلمت عاقبته .

وعلى كل حال : الفتن كثيرة وتتنوع ، والدعاة إلى الفتن أيضاً يكثرون ، ويتدرّبون ويُدرَّبون ، كما قال ﷺ : « **قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتا** » ، دعاة الفتن يتكلمون بألسنتنا ، وهم من جلدتنا من العرب أكثرهم ، أو من أقاربنا أيضاً .. فعلى الإنسان أن يحذر ولا يغتر . كل من دعا إلى ضلالة أو مخالفة الكتاب والسنة فاحذره ، ولو كان أقرب الناس إليك ، وأخبر ﷺ أن السبل المخالفة لصراط الله على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه ، شياطين الإنس ، وشياطين الجن يدعون إلى الضلالة ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [البقرة :٢٢١] ، . والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، فهناك دعاة علينا أن نحذر منهم ، وأن نحذر

من شبههم ، وعلينا أن نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى أهل العلم ؛ نسأل عما أشكل علينا ، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣ ، الأنبياء :٧]، ونحن نسأل الله في كل ركعة من صلاتنا حينما نقرأ فاتحة الكتاب التي هي ركن من أركان الصلاة، قراءتها ركن من أركان الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [الفاتحة : ٦-٧].

نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وطريق أهل الضلال ، المغضوب عليهم : هم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، والضالون : هم الذين يعملون بدون علم . والمنعم عليهم : هم أهل العلم والعمل ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء :٦٩] . فمن وفق لصراط الله صارت رفقته هؤلاء الأخيار ، ومن حاد عن صراط الله صارت رفقته المغضوب عليهم والضالين . نسأل الله العافية.

هناك كلمة قالها إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله ، وهي كلمة عظيمة ينبغي للمسلم أن يتبصر بها ويتأملها ، قال رحمه الله : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) . ما هو الذي أصلح أولها ؟ هو الكتاب والسنة ، واتباع الرسول ﷺ ، كذلك آخر هذه الأمة حينما يكثر الشر والضلال والفرق والجماعات لا يصلحها إلا ما أصلح الجيل الاول ، وهو موجود ـ ولله الحمد ـ ، الذي أصلح الجيل الأول موجود بين أيدينا ، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والرجوع إلى العلماء المختصين بكتاب الله وسنة

رسوله ﷺ ؛ ليبيِّنوا لنا ما أشكل علينا .

أقـول قولـي هـذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، وأسال الله أن يهدينا وإياكم صـراطه المسـتقيم ، وأن يجنبـنا وإياكم طريق المغضوب عليهم والضالين من أصحاب الجحيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

تعليق سماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبد الله بن باز يرحمه الله
على المحاضرة (الفقه في الدين)

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه . أما بعد :

فقد استمعتم إلى هذه المحاضرة القيمة التي ألقاها صاحب الفضيلة الشيخ: صالح الفوزان في موضوع عظيم جدير بالعناية ، وهو موضوع التفقه في الدين ، والسير على منهج سلف الأمة من الصحابة واتباعهم بإحسان ، وتلقي ذلك عن أهل العلم والإيمان من أهل السنة والجماعة.

ولقد أجاد وأفاد ـ ضاعف الله مثوبته ـ وأبان ما ينبغي بيانه في هذا الموضوع العظيم ، وإني أؤيد ما ذكره فضيلته في هذا المقام ، فكل مؤمن وكل مؤمنة في هذه الدنيا في أشد الحاجة إلى التفقه في الدين والتبصر ؛ حتى يعلم حكم الله في جميع أعمال المكلفين ، وحتى يسير على بصيرة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتفقه في الدين : بالعناية بكتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، كما تفقه من قبلنا من الصحابة ومن بعدهم .

سبيل السعادة وسبيل النجاة : هو السبيل الذي سلكه المؤمنون السابقون من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان ، كما قال الله جل وعلا : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام :١٥٣] فصراط الله : هو العلم والعمل ، هو العلم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ والعمل بهما ، هذا هو العلم ، وهذا هو الصراط، وهذا هو الهدى، وهذا هو الإسلام ، وهذا هو البر، وهذا هو التقوى؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

[الفاتحة :٦] ، علمنا ربنا أن نطلب هذا الأمر ، أن نطلب منه الهداية إلى صراطه المستقيم ، وصراطه المستقيم : هو العلم بما جاء به رسوله ، والعمل بذلك . ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فسره بقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، وهم : أهل العلم بما قاله الله ورسوله ، وأهل العمل بذلك ، وهم الصحابة ، أصحاب النبي ﷺ، ثم من بعدهم من أتباعهم بإحسان ، وعلى رأسهم القرون الثلاثة : قرن الصحابة ، ثم قرن التابعين ، ثم أتباع التابعين ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام « **خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » الحديث . ولا سبيل إلى معرفة هذا الأمر إلا بالتفقه في الدين ، والعناية بالقرآن العظيم والسنة المطهرة ، وتلقي ذلك عن أهل العلم الذين اتبعوا الكتاب والسنة وعظموهما ، وساروا عليهما .

فالعلم : قال الله عز وجل ، وقال رسوله ﷺ ، وقال الصحابة ، ليس العلم : رأي فلان ورأي فلان ، ولابد من تلقي العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن حملة هذا العلم وهم أهل السنة والجماعة ، السائرون على نهج الصحابة وأتباعهم بإحسان . ولهذا يقول جل وعلا : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة :٦-٧] ، ثم بيَّن الطرق الأخرى الضالة التي يجب الحذر منها ، فقال : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، فالمغضوب عليهم : هم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه ؛ كاليهود وأشباههم ، والضالون : هم الذين ساروا على جهالة وضلالة على غير علم ؛ كالنصارى وغيرهم ، فالمنعم عليهم والمؤمنون الصادقون ، أهل السنة والجماعة ، والفرقة الناجية : هم الذين عرفوا الحق وعملوا به ؛ بأدلته الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة ، وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم المنعَم عليهم ،

وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ، وهم المراد في قوله جل وعلا : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء :٦٩] ، وهم المراد في قوله جل وعلا : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار :١٣] ، وهم المراد في قوله تعالى : ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة :١٧٧] .

فالواجب على جميع المسلمين ـ رجالاً ونساءً ـ هو السير على هذا المنهج ، والتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، من طريق علماء الحق، مثل ما قال مالك ابن أنس ـ رحمه الله ـ إمام دار الهجرة في زمانه، كلمة قالها سمعتموها، وتبعه أهل العلم ، فقالها أهل العلم بعده وهي : (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) ، والذي أصلح أولها : هو تمسكهم بكتاب الله، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسيرهم على ذلك، والتواصي بذلك، والتعاون في ذلك، هذا هو الذي ساروا عليه، وهو الذي أصلحهم الله به، ولن يصلح آخرهم إلا ذلك.

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ـ الذي أشار إليه المحاضر الشيخ صالح ـ سأل عنه الرسول ﷺ ، قال رضي الله عنه : كان الناس يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ؛ مخافة أن يدركني ، قلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « **نعم** » فقلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : « **نعم ، وفيه دخن** » قلت : وما دخنه ؟ قال : « **قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر** » ـ تعرف أشياء

وتنكر أشياء ـ فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « **نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها** » ، قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، قال : « **قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا** » ـ هم دعاة على أبواب جهنم ، ألسنة عربية ، ويترجمها الآخرون إلى اللغات الأخرى ـ قلت : يا رسول الله ، ما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** » ـ جماعة المسلمين : الذين ساروا على نهج الصحابة ، الذين وصفهم ﷺ بما تقدم ـ قال: قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « **فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك** » . رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين .

وسأل عمرو بن ميمون ـ التابعي الجليل ـ عبدَ الله بن مسعود رضي الله عنه عن الجماعة فقال عبدُ الله : (الجماعة : ما وافق الحق ، وإنْ كنت وحدك) ، إذا وافقت الحق فأنت الجماعة ، فالجماعة : ما وافق الحق وإن كنت وحدك ، فالجماعة : هم الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ، ويسيرون على نهج السلف الصالح ؛ من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان ، وهم الطائفة المنصورة ، وهم الفرقة الناجية التي قال فيها النبي ﷺ : « **ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ، كلها في النار إلا واحدة** » قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » ، وفي رواية أخرى قال : « **هم الجماعة** » ، هي الجماعة ، الفرقة الناجية : هي الجماعة ؛ لأنها التي اجتمعت على الحق وسارت عليه ، من عهده ﷺ وبعده ، هؤلاء هم الفرقة الناجية ، وهم المراد في قوله عز وجل : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام :١٥٣] ، وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه خط خطاً مستقيماً ، وقال : « هذا سبيل الله » ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال :

« هـذه السـبل ، وعـلى كـل سـبيل مـنها شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأه هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ فالفـرقة الناجـية : هم أهـل السـنة والجماعـة ، هـم الطائفة المنصورة ، شيء واحد ، رجالهم ونساؤهم ، وعـلماؤهم وعامتهم ، هم الفرقة الناجية ، السائرون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ مـن الجـن والإنـس ، مـن العـرب والعجم ، من الرجال والنساء من جميع الطـبقات ، هـم أهـل السـنة والجماعـة ، هـم الفرقة الناجية وإن تفاوتوا في العلم والفضـل ، وقـول بعـض السـلف : (إنهم أهل الحديث) ، وقول بعضهم : (إن لم يكونـوا أهـل الحديـث فـلا أدري مَـنْ هـم ؟!) ، وقـول بعـض السـلف : (إنهم العـلماء) ، لـيس معنى أنهم طائفة أخرى . العلماء هم رؤوسهم ، وأهل الحديث هـم رؤوسـهم ، وأئمـتهم : الصـحابة ، أصحاب النبي ﷺ هم الأئمة ، ثم يليهم أئمـة الحديـث، وفقهـاء الأمـة وعـلماؤهم هـم الأئمة ، وهم القدوة ، هم الذين يوضِّحون الطريق للناس .

وقـول بعـض العـلماء : (إنهـم أهل الحديث) ، وقولهم : (إنهم العلماء) ليس معـناه : أنهـم طائفـة أخـرى ، هم أهل الحديث ، وهم العلماء ، وهم المتمسكون بكـتاب الله وسـنة رسـوله ﷺ ، ومن سار على نهجهم ، ومن تابعهم وسار على طـريقهم ، هـم الفـرقة الناجـية ، لكـن أخصـهم وأفضـلهم وأئمـتهم : هـم أئمة الحديـث ، الذين علموا الناس الخير ، وهدوهم إليه ، وأرشدوهم إليه ، أصحاب الـنبي ﷺ وأتـباعهم مـن السـلف ، وهم العلماء : علماء الحق الذين عرفوا الحق وعملـوا بـه ودعـوا إلـيه ، هـم أئمة الفرقة ، هم رؤساؤها ، هم قادتها ، ويدخل فـيهم أتـباعهم العامـة الـتابعين لهـم ؛ مـن زوجـاتهم ، وأمهـاتهم ، وبـناتهم ، وإخوانهـم، وسـائر نسـاء أهل سبيلهم من المسلمين ، وإن كانوا عامة ، وإن كانوا ليسـوا عـلماء ، هـم داخلـون في هـذه الفـرقة إذا ساروا على نهجهم ، وتابعوهم

بالحق ، واستقاموا على دين الله .

أما المخالفون فهم طوائف لا تحصى ، ثنتان وسبعون ، كلها ترجع إلى ثنتين وسبعين فرقة ما بين كافر وبين مبتدع وضال : أقسام : فيهم الكافر ، وفيهم غير الكافر ، لكنهم متوعدون بالنار ؛ لكونهم حادوا عن الطريق السوي ؛ لأنهم خالفوا الحق في أشياء ، فمنهم من خرج عن الإسلام ، ومنهم من لم يخرج ، لكن صار ببدعته على خطر عظيم ، أو بمعصيته على خطر عظيم ، أو بمعصيته على خطر عظيم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** » متفق على صحته من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمن علامات الخير وأن الله أراد بالعبد خيراً ـ رجلاً كان أو امرأة ، عربياً أو أعجمياً ـ من علامات أن الله أراد به الخير : أن يتفقه في الدين، من طريق القرآن والسنة ، هذا التفقه في الدين ، ومن طريق أهل العلم بالكتاب والسنة ، لا من طريق أهل البدع والجهلة، من طريق أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، إذا رأيتَ الرجل والمرأة ـ العربي أو العجمي ـ إذا رأيته يتفقه في الدين ، يسأل عما قاله الله ورسوله ، ويحرص على هذا الشيء ويجتهد ، فاعلم أن الله أراد به خيراً ، ومن علامات الخير ، وإذا رأيته معرضاً غير راغب في الكتاب والسنة ، غير سائر على ما تضمنه الكتاب والسنة ، فهذه الدلالة العظيمة الواضحة على أن الله ما أراد به خيراً ، نسأل الله العافية.

ويقول النبي ﷺ : « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة** »، ويقول: «**العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم** »، فالعلم بكتاب الله وسنة رسوله، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

فالواجب على طالب العلم وعلى كل مسلم وكل مسلمة التفقه في الدين، وأن يتعلم ما لا يسعه جهله، مما أوجب الله عليه ومما حرم الله عليه . يقول الله

عـز وجل : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران :١٠٣] يعني : بديـن الله ، ويقـول جـل وعـلا : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشـورى : ١٠] ، لـيس إلى زيـد أو إلى عمرو ، ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى الكتاب والسـنة ، كمـا في الآيـة الأخـرى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء :٥٩] .

يجـب الـرد إلى القـرآن ، إلى ما فيه من الآيات الكريمات ، كما بينه الله فيها ، وفـيه الهـدى والـنور، وفـيه الدلالـة على كل خير، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسـراء :٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت :٤٤]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ﴾ [الأنعام : ١٥٥] أحـال عليـه ؛ لأنـه بيِّن، لولا أن فيه العلم والهدى ما أحال عليه سبحانه وتعـالى، فـيه الهـدى والـنور ، قـال تعـالى : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ للطـريقة التي هي أقوم الطرق وأهداها ، وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩] ، فالمصـيبة هـي الإعـراض والغفلـة وعدم التدبر ، وإلا ففـي القـرآن الهدى والنور ، وفي السنة إيضاح ما أشكل ، السنة الصحيحة عـن الـنبي ﷺ إيضـاح مـا أشـكل ، وبـيان مـا قـد يخفى ، كما قال عز وجل : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤]، وقال ﷺ: **«إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم»** .

مـن علامـات أهـل الخير وأهل الحق ، تتبع القرآن والسنة ، والاهتداء بالقرآن والسـنة ، والأخـذ بالأمـر الواضـح ، والتمسك بذلك والسير عليه، وسؤال أهل العـلم : علماء أهل السنة ، يقول ﷺ : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من**

الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترُك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهَّالاً ، فسُئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلُّوا وأضلُّوا » [رواه الإمام مسلم]، هذه النهاية ، نسأل الله العافية ، مثلما قال في حديث حذيفة قال : « فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها » . فطالب العلم يتفقه في الدين من طريق الكتاب والسنة ، ويسأل أهل العلم بالكتاب والسنة عما أشكل عليه بصدق وإخلاص ، وقَصْدٍ صالح ، ونية طيبة ، حتى يُهدَى ، حتى يوفق ، قال رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ، من طلب الحق بنية صالحة وفقه الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت :٦٩] ، لكن من أعرض أعرض الله عنه ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف : ٥] ، وقال الله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ ﴾ [الكهف: ٥٧]، إذا أعرض وغفل ولم يبالِ فمن عدل الله أن يضله ، وأن يُولِّه ما تولى ؛ لظلمه وجهله وإعراضه ، أما من أقبل على الله وطلب الهداية منه وصدق في ذلك فالله يهديه ويوفقه . فاجتهدْ يا عبدالله في الضراعة إليه بصدق أن يمنحك التوفيق ، وأن يهديك صراطه المستقيم ، وأن يعلمك ما ينفعك ، وأن يقيك شر نفسك وهواك ، يقول جل وعلا : ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر :٦٠] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة :١٨٦] ، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ : « ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته في الدنيا ، وإما أن تُدَّخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك» قيل : يا رسول الله ، إذن نكثر . قال : « الله أكثر».

ويتحرى الأوقات المناسبة التي ترجى فيها الإجابة ، مثل ما سمعتم في المحاضرة ، ومثل آخر الليل وقت التنزل الإلهي ، جوف الليل الآخر ، وآخر الصلاة قبل السلام ، يقول فيه النبي ﷺ : « **ثم ليتخيّر من الدعاء أعجبه إليه فيدعو** » في آخر الصلاة ، في السجود ، يقول ﷺ : « **... فأما الركوع فعظّمُوا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم** » ، يعني : حري أن يستجاب لكم. رواه مسلم في الصحيح ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء** » رواه مسلم أيضاً .

ينبغي الدعاء في السجود ولا سيما في التهجد، وفي الفريضة أيضاً، تدعو ربك في الفريضة وفي النافلة ، في سجودك ، وفي آخر الصلاة ، تسأل خير الدنيا والآخرة ، وأهم شيء ما فيه صلاح قلبك ، وما فيه هدايتك ، وفي التهجد وفي آخر الليل ، في إمكانك أن تطول السجود ، وفي إمكانك أن تطول الدعاء .. وهكذا في آخر نهار الجمعة بعد العصر، هكذا وقت الخطبة يوم الجمعة من حين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن تُقضى الصلاة، كلها أوقات إجابة ، بين الأذان والإقامة وقت إجابة. يتحرى المؤمن ثم يحرص على أكل الحلال ، الطعام الحلال، اللباس الحلال ، يتحرى الكسب الحلال ؛ لأن الكسب الحرام من أسباب منع الإجابة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والمعاصي من أسباب منع الإجابة، والإعراض عن الله والغفلة وعدم المبالاة من أسباب منع الإجابة .

المؤمن يقبل على الله صادقاً مخلصاً ، راغباً في الحق ، يعلم الله من قلبه الرغبة في الحق والصدق في طلب الحق ، ولا ييأس ، بل يلح في الدعاء ويجتهد في الدعاء في جميع الأوقات، ويتحرى أوقات الإجابة بصدق ورغبة ، ويحذر أسباب الحرمان من المعاصي ، وأكل الحرام ، والغفلة عن الله ، والدعاء بقلب معرض غافل ، يُقبِل على الله صادقاً مجتهداً ، طالباً للحق ،

ويصحب أهل الخير ، ويصاحب أهل الخير ويجتهد في صحبتهم ، وأن يكون معهم ، ويحذر صحبة الأشرار ، فبئس الجلساء ، ويحرص على صحبة الأخيار أهل العلم والعمل ، أهل التقوى أهل الدين ، يحرص على صحبتهم، والمخالطة لهم والاستفادة منهم .

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه ، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين ، وأن يعيذنا جميعاً والمسلمين جميعاً من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير ، وأن يعينهم على كل خير ، وأن يصلح قلوبهم وأعمالهم وبطانته ، وأن يوفقهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد ، وأن يعينهم على إزالة كل ما يخالف شرع الله في أرض الله ، وأن يوفق قادة المسلمين في كل مكان .

نسأل الله أن يوفق قادة المسلمين في كل مكان لما يرضيه ، وأن يعينهم على تحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاستقامة عليها ، وإلزام الشعوب بها ، كما أسأله سبحانه أيضاً أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يمنحهم الفقه في الدين ، وأن يعينهم على طاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يعيذهم من طاعة الهوى والشيطان، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

* * *

أسئلة ألقيت على
سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يرحمه الله
بعد تعليقه على محاضرة (الفقه في الدين)

س١ : ما المراد بطاعة ولاة الأمر في الآية ، هل هم العلماء أم الحكام، ولو كانوا ظالمين لأنفسهم ولشعوبهم؟

ج١ : يقول الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء :٥٩] .

أولو الأمر : هم العلماء والأمراء ، أمراء المسلمين وعلماؤهم ، هم أولو الأمر، يطاعون في طاعة الله إذا أمروا بطاعة الله وما ليس معصيةً لله.

فالعالم والأمير يطاعون ؛ لأن بهذا تستقيم الأحوال ويحصل الأمن، وتنفذ الأوامر ، وينصف المظلوم ، ويردع الظالم ، أما إذا لم يطاعوا فسدت الأمور ومرجت الأمور وأكل القوي الضعيف . فالواجب أن يطاعوا في طاعة الله ، في المعروف ، سواء كانوا أمراء أو علماء ؛ العالم يبيِّن حكم الله والأمير ينفذ حكم الله ، هذا هو الصواب في أولي الأمر ، هم العلماء بالله وبشرعه ، وهم أمراء المسلمين ، عليهم أن ينفذوا أمر الله ، وعلى الرعية أن تسمع لعلمائها في الحق ، وأن تسمع لأمرائها في المعروف ؛ أما إذا أمروا بمعصية ، سواء كان أميراً أو عالماً أمر بمعصية ما يطاع ، إذا قال الأمير لك : اشرب الخمر ، لا تطعه، إذا قال لك : عُقَّ والدك ، لا تعق والدك ، إذا قال: كل الربا، لا تأكل الربا.. وهكذا مع العالم إذا قال لك معصية ، والعالم بالشرع ما يقول هذا ، لكن قد يكون عالماً فاسقاً .

المقصود : العالم إذا أمرك بشيء من معاصي الله فلا تطعه في معاصي الله ؛ إنما الطاعة في المعروف ، يقول النبي ﷺ : « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** » ، لكن لا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا ، يجب السمع والطاعة في المعروف،

ولكـن لا تطعـه في المعصـية ، ولا تـنزعن يداً من طاعة ، يقول النبي ﷺ : « على المـرء السـمع والطاعـة في المنشط والمكره ، وفي ما أحبَّ وكَرِه ، ما لم يؤمر بمعصية الله ، فـإن أُمِـرَ بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : «مـن خـرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتةً جاهلية » ، ويقول عليه الصـلاة والسـلام : « مـن رأى مـن أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصـية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة، فإنه من فارق الجماعة مات ميتةً جاهلية »، وقـال علـيه الصلاة والسلام : « من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم ، ويشق عصاكم فاقتلوه ، كائناً من كان » .

فالمقصـود : أن الواجـب السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمور من الأمراء والعـلماء ، بهـذا تنـتظم الأمـور ، وتصـلح الأحـوال ، ويـأمن الـناس، ويُنصَف المظلوم ، ويُردَع الظالم ، وتُؤمن السبل ، ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصـا ، إلا إذا وجـد مـنهم كفـرٌ بـواح عـند الخـارجين مـن الله فـيه بـرهان ، ويسـتطيعون بخـروجهم أن يـنفعوا المسـلمين، وأن يزيلوا الظلم ، وأن يقيموا دولة صـالحة ، أمـا إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج ولو رأوا كفراً بواحاً ؛ لأن خـروجهم يضـر الـناس ، ويفسد الأمة ، ويوجب الفتنة والقتل بغير حق ، ولكن إذا كـان عـندهم القـدرة ، وعـندهم القـوة على أن يزيلوا هذا الظالم ، هذا الوالي الكافـر أن يـزيلوه ، ويضـعوا مكانـه والـياً صـالحاً ينفذ أمر الله ، فعليهم ذلك إذا وجـدوا كفـراً بواحـاً عندهم من الله فيه برهان ، وعندهم قدرة على إيجاد الحق ، وإيجاد البديل الصالح وتنفيذ الحق .

س٢ : مـا حكـم سـن القوانين الوضعية ؟ وهل يجوز العمل بها ، وهل يُكفَّر الحاكم بسنه لهذه القوانين ؟

ج٢ : إذا كـان القـانون يوافـق الشرع فلا بأس، إذا سن قانوناً في الطريق أو في الشـوارع ، وفي غـير ذلـك مـن الأشياء التي تنفعهم في الدوائر ، لا يخالف الشرع

لكن ينفذ الأمور لا بأس ، أما القوانين التي تخالف الشرع لا ، إذا سن قانوناً معناه : أنه لا حد على الزاني ، ولا حد على السارق ، ولا حد على شارب الخمر ، هذا باطل ، هذه قوانين باطلة ، وإذا استحلها الوالي كفر ، إذا قال : إنها حلال ، وإنها لا بأس بها ، هذا يكون كفراً ، من استحل ما حرم الله كفر .

س٣ : كيف يتعامل معه ؟

ج٣ : يتعامل معه في المعروف ، يطاع في المعروف ، لا في المعاصي حتى يأتي الله بالبديل .

س٤ : تعلم يا سماحة الشيخ ما حل في الساحة من فتن فأصبح هناك جماعات مثل : جماعة التبليغ ، وجماعة الإخوان ، والسلفية وغيرهم من الجماعات، وكل جماعة تقول : إنها هي التي على صواب في اتباع السنة ، فيا شيخ حفظك الله ، أسألك بالله أن تخبرنا من هم الذين على صواب من هذه الجماعات ، ومن نتبع منهم ، وسمهم باسمهم ؟ وجزاك الله خير الجزاء .

ج٤ : سمعت في المحاضرة وفي التعليق ، من هم الجماعة الذين يتبعون ، الجماعة التي يجب اتباعها والسير في منهاجها ، هم : أهل الصراط المستقيم ، هم أتباع النبي ﷺ ، هم أتباع الكتاب والسنة الذين يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، أما الجماعات الأخرى فلا تسمع لها إلا إذا وافقت الحق، سواء كانوا (الإخوان المسلمون) ، أو (جماعة التبليغ) ، أو (أنصار السنة) ، أو من يقولون : إنهم (السلفيون) ، أو غيرهم ، أو (الجماعة الإسلامية) ، أو فرقة تسمي نفسها شيئاً ، أو سموا أنفسهم بأهل الحديث ، يطاعون ويتبعون في الحق، ما قام عليه الدليل يوافقون عليه ، وما خالف الدليل يرد عليهم ، يقال : لا ، هذا غلط منكم ، أو أخطأتم في هذا ، أخطأتم أيها الإخوان ، أخطأتم في هذا الأمر ، نوافق على هذا الأمر الذي وافق الآية الكريمة والحديث الشريف ، وافق إجماع أهل العلم ، وافق أهل السنة والجماعة، هذا نوافق عليه ؛ أما قولكم : كذا ، أو

قولكم: كذا ، أو فعلكم كذا ، فهذا خلاف الحق ، هذا يقوله لهم أهل العلم ، ما يعرف هذا إلا أهل العلم ، هم الذين يبصرون الجماعات الإسلامية : جماعة التبليغ ، جماعة الإخوان ، جماعة أنصار السنة ، الجماعة السلفية ، إنما يعرف التفاصيل أهل العلم : أهل العلم بالقرآن والسنة ، الذين تفقهوا في الدين من طريق الكتاب والسنة هم الذين يعرفون تفاصيل هذه الجماعات ، وهذه الجماعات عندها حق وباطل ، عندها حق ، ما هي معصومة ، كل واحد ما هو معصوم ، لكن الحق ما قام عليه الدليل ، فما قام عليه الدليل ـ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من هذه الجماعات ، أو من مذهب الحنابلة أو الشافعية ، أو المالكية ، أو الظاهرية ، أو الحنفية أو غيرهم ـ هو الحق ، وما خالف الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يكون خطأ ، وصاحبه إذا كان من أهل الحق مجتهداً طالباً للحق يكون له أجران إذا أصاب ، وإذا أخطأ يكون له أجر .

وأما الذين يدعون إلى غير السنة ، يدعون إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هؤلاء لا يُتَّبعون ، ولا يُقلَّدون ، ولا ينظر فيهم ويُعادون ، كالدعاة إلى الرفض (التشيع) ، ضد أهل السنة والجماعة ، ضد الصحابة ، ويسبون الصحابة ، ويدعون بزعمهم كذباً وزوراً إلى اتباع أهل البيت ، هذا باطل ؛ لأن أهل البيت هم من أهل السنة والجماعة، علي رضي الله عنه ، والحسن والحسين وأهل البيت المعروفين بالخير هم من أهل السنة على طريق الصحابة ، هم من جنس ما عليه أبوبكر وعمر ، فالذي يخالف أهل البيت ، ويزعم أنهم يعلمون الغيب أو أنهم يُعبَدون من دون الله ، بالدعوة من دون الله ، أو أن ينبغي أن يقام على قبورهم مساجد أو قباب ، هذا غلط ، هذا باطل ، لا يُقلَّدون ولا يُتَّبعُون ، هؤلاء يعتبرون من أهل الباطل دون شك . نسأل الله العافية .

وهكذا العلمانيون الذين يدعون إلى الرأي وإلى ما يخالف شرع الله ، يدعون

إلى أهوائهم وإلى ترك الكتاب والسنة ، وإنما يتبع ما يهواه الناس وما يريدونه ، وما يصلح لهم في دنياهم ، هؤلاء يجب أن يحاربوا ، ما يطاعون ، إنما يُطاع ويُتَّبع من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ووافق الحق : أصاب في الحق ، فإذا أخطأ لا ، يقال له : أحسنت إذا أحسن ، وأخطأتَ إذا أخطأ ، ويتبع في الصواب، ويدعى له بالتوفيق . وإذا أخطأ يقال : أخطأت في كذا ، وخالفت الدليل الفلاني ، والواجب عليك التوبة إلى الله والرجوع إلى الحق ، هذا يقوله أهل العلم ، أهل البصيرة ، أما العامي يسأل أهل العلم بالله ، أهل العلم بالكتاب والسنة المعروفين الذين يتبعون الكتاب والسنة ، لا يدعون إلى إلحاد وإلى رفض، أو إلى مثل المتكلمين من الجهمية وغيرهم ، أو إلى غير هذا من مذاهب أهل الباطل ، إنما يتبع من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالدليل ، بالبصيرة ، ويسأل أهل العلم عنهم ، الذين عُرِفوا بالكتاب والسنة ، يسألهم : ما تقولون في دعوة فلان إلى كذا ، يقول : كذا ، يقول: كذا ، حتى يتبصر ، قال الله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل :٤٣ ، الأنبياء :٧]، فالله يقول : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ، أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله هم أهل الذكر ، أما أهل البدع فليسوا من أهل الذكر ، الدعاة إلى البدعة ليسوا هم أهل الذكر .

س٥ : نحن في دولة لا يوجد فيها عالم رباني يؤخذ منه العلم ، ونعتمد على الكتب والأشرطة الإسلامية ، وقد ذكرتم : بأن العلم لا ينال إلا بالاطلاع ، فماذا نعمل ونحن في ظروفنا هذه ؟

ج٥ : عليكم أن تلتمسوا العلم في الأشرطة الطيبة من علماء الحق المعروفين : في (نور على الدرب) فيه خير كثير ، برنامج (نور على الدرب) يذاع بين المغرب والعشاء من إذاعة نداء الإسلام، ويذاع الساعة التاسعة والنصف ليلاً من إذاعة القرآن الكريم كل ليلة ، فيه علماء يتحرون الحق بالدليل ، وكذلك في الأشرطة

الطيبة من العلماء استفيدوا منها ؛ فهي كأنكم سألتموهم ، واجتهدوا في السفر إلى الأماكن التي فيها العلماء ، وتحروا حلقات العلم ولو بين وقت وآخر ، كان السلف يسافرون مسافات طويلة هكذا لنيل العلم والحصول على العلم ، وانتظموا في الكليات والمعاهد النافعة ، واطلبوا ذلك ؛ حتى تستفيدوا.

هكذا يكون طالب العلم الحريص ، يطلب الأشرطة الطيبة ، يستمع إلى المقالات الطيبة ، والمحاضرات الطيبة ، يستمع إلى (نور على الدرب) ، يسافر إلى حلقات العلم ، ولو إلى مكان بعيد ولو في مسجد بعيد ، إلى علماء السنة ؛ يحضر حلقاتهم ويستفيد منهم ، كان السلف يسافرون من المغرب إلى مكة ، ومن المغرب الأقصى إلى مكة والمدينة ، ومن الشرق من الهند وباكستان وغير ذلك إلى مكة والمدينة لطلب العلم ، وإلى الشام، فلكم قدوة إذا سافرتم إلى عالم تعرفونه أنه من أهل السنة ، تحضرون حلقات العلم عنده وتستفيدون . هذا كله طيب ، هذا من طلب العلم .

نسأل الله أن يوفق الجميع ، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح .

وفق الله الجميع ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .

* * *

حوار مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز
حول (الفقه في الدين)
أجرته معه جريدة الشرق الأوسط [١]

س١ : من المسائل المثارة : قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والضوابط الشرعية لهذه العلاقة .

سماحة الشيخ : هناك مَنْ يرى أن اقتراف الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد . والأحداث التي يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة ، فما رأي سماحتكم في هذا ؟

ج١ : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهداه . أما بعد :

فقد قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء :٥٩]، فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر ، وهم : الأمراء والعلماء ، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة ، وهي فريضة في المعروف .

والنصوص من السنة تبيِّن المعنى ، وتقيد إطلاق الآية بأن المراد : طاعتهم بالمعروف ، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي ،

---

(١) نشر هذا الحوار في جريدة الشرق الأوسط في العدد (٥٢٨٩) بتاريخ ١/ ١٢/ ١٤١٣هـ الموافق ٢٢/ ٥/ ١٩٩٣م ، تحت عنوان : « سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في حوار خاص مع الشرق الأوسط » ، حول ما أثارته محاضرة (الفقه في الدين) لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز من أسئلة واستفسارات لدى قراء الجريدة .

فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية ، لكن لا يجوز الخروج بأسبابها ؛ لقوله ﷺ : « ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة » ، ولقوله ﷺ : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية» ، وقال عليه الصلاة والسلام : « على المرء السمع والطاعة في ما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، وسأله الصحابة رضي الله عنهم لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « أدوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم » . قال عبادة رضي الله عنه : بايعنا رسول الله ﷺ على ألا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان».

فهذا يدل على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ، ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان ؛ وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً ، فيختل به الأمن ، وتضيع الحقوق ، ولا يتيسر ردع الظالم ، ولا نصر المظلوم ، وتختل السبل ولا تأمن ، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير ، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان ، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة ، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا ، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج ؛ رعاية لمصالح العامة .

والقاعدة الشرعية المجمع عليها : أنه (لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه ، بل يجب درء الشر بما هو أشر منه ، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه) ، أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين ، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً عندها قدرة تزيله بها ، وتضع إماماً صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين ، وشر أعظم من شر

هذا السلطان فلا بأس .

أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن ، وظلم الناس ، واغتيال من لا يستحق الاغتيال .. إلى غير هذا من الفساد العظيم ؛ فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر ، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور ، والدعوة لهم بالخير ، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير .

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك ؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة ؛ ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير ؛ ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر .

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية .

س ٢ : سماحة الوالد : تعلم أن هذا الكلام أصل من أصول أهل السنة والجماعة، ولكن هناك ـ للأسف ـ من أبناء أهل السنة والجماعة من يرى هذا فكراً انهزامياً ، وفيه شيء من التخاذل ، وقد قيل هذا الكلام؛ لذلك يدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير ؟

ج٢ : هذا غلط من قائله ، وقلة فهم ؛ لأنهم ما فهموا السنة ولا عرفوها كما ينبغي ، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا فيما يخالف الشرع ، كما وقعت الخوارج والمعتزلة ، حملهم حب نصر الحق أو الغيرة للحق ، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل حتى كفَّروا المسلمين بالمعاصي كما فعلت الخوارج ، أو خلَّدوهم في النار بالمعاصي كما تفعل المعتزلة .

فالخوارج كفَّروا بالمعاصي ، وخلَّدوا العصاة في النار ، والمعتزلة وافقوهم في العاقبة ، وأنهم في النار مخلدون فيها ، ولكن قالوا : إنهم في الدنيا بمنزلة بين المنزلتين ، وكله ضلال .

والذي عليه أهل السنة ـ وهو الحق ـ أن العاصي لا يكفر بمعصيته ما لم

يستحلها ، فإذا زنا لا يكفر ، وإذا سرق لا يكفر ، وإذا شرب الخمر لا يكفر ، ولكن يكون عاصياً ضعيف الإيمان فاسقاً تقام عليه الحدود ، ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصية وقال : إنها حلال ، وما قاله الخوارج في هذا باطل ، تكفيرهم للناس باطل ؛ ولهذا قال فيهم النبي ﷺ : إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه، يُقاتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان ، هذه حال الخوارج بسبب غلوهم وجهلهم وضلالهم .

فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يُقلِّدوا الخوارج والمعتزلة ، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية ، فيَقِفُوا مع النصوص كما جاءت ، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاصٍ وقعت منهم ، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة ، بالطرق الطيبة الحكيمة ، وبالجدال بالتي هي أحسن؛ حتى ينجحوا ، وحتى يقل الشر أو يزول ويكثر الخير .

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ ، والله عز وجل يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا حدود الشرع ، وأن يناصحوا من ولاّهم الله الأمور ، بالكلام الطيب والحكمة، والأسلوب الحسن ، حتى يكثر الخير ويقل الشر ، وحتى يكثر الدعاة إلى الله ، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة ، ويناصحوا من ولاّهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة، مع الدعاء لهم بظهر الغيب : أن الله يهديهم ويوفقهم ويعينهم على الخير ، وأن الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحق .

هكـذا يدعو المؤمن اللهَ ويتضرع إليه أن يهدي ولاة الأمور ، وأن يعينهم على: تـرك الباطل ، وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن وبالتي هي أحسن ، وهكذا مع إخوانـه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم ؛ حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسـن ، لا بالعـنف والشـدة ، وبهـذا يكثر الخير ، ويقل الشر ، ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه ، وتكون العاقبة حميدة للجميع .

س ٣ : لـو افترضـنا أن هـناك خـروجاً شرعياً لدى جماعة من الجماعات، هل هـذا يُـبرِّر قـتل أعـوان هـذا الحـاكم وكـل مـن يعمل في حكومته مثل : الشرطة والأمن وغيرهم ؟

ج٣ : سبق أن أخبرتك : أنه لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين :

أحدهما : وجود كفرٍ بواح ، عندهم من الله فيه برهان .

والشـرط الـثاني : القدرة على إزالة الحاكم إزالةً لا يترتب عليها شر أكبر منه ، وبدون ذلك لا يجوز .

س٤ : يظـن الـبعض مـن الشـباب حفظـك الله أن مجافـاة الكفـار ـ ممـن هم مسـتوطنون في الـبلاد الإسـلامية أو مـن الوافدين ـ من الشرع ؛ ولذلك البعض يستحل قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون .

ج ٤ : لا يجـوز قـتل الكافر المستوطن ، أو الوافد المستأمن الذي أدخلته الدولة آمـناً ، ولا قـتل العصـاة ولا الـتعدي علـيهم ، بـل يحـالون فيما يحدث منهم من المنكرات للحاكم الشرعي ، وفيما تراه المحاكم الشرعية الكفاية .

س٥ : وإذا لم توجد محاكم شرعية ؟

ج٥ : إذا لم توجـد محـاكم شـرعية فالنصـيحة فقـط ، النصـيحة لـولاة الأمور وتوجـيههم لـلخير ، والـتعاون معهـم ؛ حـتى يحكِّمـوا شـرع الله ، أمـا أن الآمر والـناهي يمـد يـده فيقـتل أو يضرب فلا يجوز ، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي

هـي أحسـن ؛ حـتى يحكّموا شرع الله في عباد الله ، وإلا فواجبه النصح ، وواجبه التوجـيه إلى الخـير ، وواجـبه إنكـار المنكر بالتي هي أحسن ، هذا هو واجبه ، قال الله تعـالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الـتغابن :١٦] ؛ لأن إنكاره باليد أو بالقتل أو الضـرب يترتـب علـيه شـر أكثر وفساد أعظم بلا شك ولا ريب لكل من سبر هذه الأمور وعرفها .

س ٦ : هـل الأمـر بالمعـروف و الـنهي عـن المـنكر وبالذات التغيير باليد حق للجميع ، أم أنه حق مشروط لولي الأمر أو من يُعيِّنُه ولي الأمر ؟

ج٦ : التغـيير للجمـيع حسـب استطاعته ؛ لأن الرسول ﷺ يقول : «**من رأى مـنكم مـنكراً فلـيغير بـيده ، فـإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضـعف الإيمان** » ، لكن التغيير باليد لابد أن يكون عن قدرة لا يترتب عليه فساد أكـبر وشر أكثر ، فليُغيِّر باليد في بيته : على أولاده ، وعلى زوجته ، وعلى خدمه، وهكـذا الموظـف في الهيـئة المختصـة المعطـى له صـلاحيات ، يغـير بيده ، حسب التعلـيمات الـتي لديه ، وإلا فلا يغير شيئاً ليس له فيه صلاحية ؛ لأنه إذا غير بيده فـيما لا يدخـل تحـت صـلاحيته يترتب ما هو أكثر شراً ، ويترتب بلاء كثير وشر عظـيم بيـنه وبـين الـناس ، وبيـنه وبـين الدولة ، ولكن عليه أن يغير باللسان كأن يقـول : (اتـق الله يـا فـلان ، هـذا لا يجـوز) ، (هذا حرام عليك) ، (هذا واجب علـيك) ، يـبين له بالأدلة الشرعية باللسان ، أما باليد فيكون في محل الاستطاعة في بيـته ، أو فيمن تحت يده، أو فيمن أُذن له فيه من جهة السلطان أن يأمر بالمعروف، كالهيـئات الـتي يأمـرها السلطان ويعطيها الصلاحيات ، يُغيِّرون بقدر الصلاحيات التي أعطوها على الوجه الشرعي الذي شرعه الله ، لا يزيدون عليه ، وهكذا أمير البلد يغير بيده حسب التعليمات التي لديه .

س ٧ : هـناك مـن يـرى ـ حفظك الله ـ أن لـه الحق في الخروج على الأنظمة

العامة التي يضعها ولي الأمر كالمرور والجمارك والجوازات.. إلخ، باعتبار أنها ليست على أساس شرعي ، فما قولكم ـ حفظكم الله ـ ؟ .

ج ٧ : هذا باطل ومنكر ، وقد تقدم : أنه لا يجوز الخروج ولا التغيير باليد ، بل يجب السمع والطاعة في هذه الأمور التي ليس فيها منكر ، بل نظَّمها ولي الأمر لمصالح المسلمين ، فيجب الخضوع لذلك ، والسمع والطاعة في ذلك ؛ لأن هذا من المعروف الذي ينفع المسلمين ، و أما الشيء الذي هو منكر ؛ كالضريبة التي يرى ولي الأمر أنها جائزة فهذا يراجع فيها ولي الأمر للنصيحة والدعوة إلى الله ، وبالتوجيه إلى الخير ، لا بيده يضرب هذا أو يسفك دم هذا أو يعاقب هذا بدون حجة ولا برهان ، بل لابد أن يكون عنده سلطان من ولي الأمر يتصرف به حسب الأوامر التي لديه ، وإلا فحسب النصيحة والتوجيه ، إلا فيمن هو تحت يده من أولاد وزوجات ونحو ذلك ممن له السلطة عليهم .

س٨ : هل من مقتضى البيعة ـ حفظك الله ـ الدعاء لولي الأمر ؟

ج٨ : من متقضى البيعة النصح لولي الأمر ، ومن النصح : الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية ، والعمل وصلاح البطانة ؛ لأن من أسباب صلاح الوالي، ومن أسباب توفيق الله له : أن يكون له وزير صدق ، يعينه على الخير ، ويذكِّره إذا نسي ، ويُعينه إذا ذكر، هذه من أسباب توفيق الله له.

فالواجب على الرعية وعلى أعيان الرعية التعاون مع ولي الأمر في الإصلاح وإماتة الشر والقضاء عليه ، وإقامة الخير بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتوجيهات السديدة التي يرجى من ورائها الخير دون الشر ، وكل عمل يترتب عليه شر أكثر من المصلحة لا يجوز ؛ لأن المقصود من الولايات كلها تحقيق المصالح الشرعية ، ودرء المفاسد ، فأي عمل يعمله الإنسان يريد به الخير ويترتب عليه ما هو أشر مما أراد إزالته وما هو منكر لا يجوز له . وقد أوضح شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى إيضاحاً كاملاً في كتاب (الحسبة) فليراجع لعظم الفائدة .

س٩ : من يمتنع عن الدعاء لولي الأمر حفظك الله ؟

ج ٩ : هذا من جهله وعدم بصيرته ؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ، ومن أفضل الطاعات ، ومن النصيحة لله ولعباده ، والنبي ﷺ لما قيل له : إن دوساً عصت وهم كفار ، قال : « **اللهم اهدِ دوساً وائت بهم** » فهداهم الله وأتوه مسلمين .

فالمؤمن يدعو للناس بالخير ، والسلطان أولى من يُدعى له ؛ لأن صلاحه صلاح للأمة ، فالدعاء له من أهم الدعاء ، ومن أهل النصح : أن يُوفَّق للحق ، وأن يُعان عليه ، وأن يُصلح الله له البطانة ، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء ، فالدعاء له بالتوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل وصلاح البطانة من أهم المهمات ، ومن أفضل القربات، وقد رُوي عن الإمام أحمد أنه قال : (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان) ، ويروى ذلك عن الفضيل بن عياض رحمه الله ، والله ولي التوفيق .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب (٢)

الاجتماع ونبذ الفرقة

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

مقدمة [١]

الحمد لله على فضله وإحسانه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فإن اجتماع المسلمين ونبذ الفرقة فيما بينهم أصلٌ عظيم من أصول الدين ، أمر الله تعالى به وأمر به النبي ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران :١٠٣]، وقال : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران :١٠٥] . وقال النبي ﷺ : «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم** » [٢] .

ومن المعلوم أنه لادين إلا باجتماع الكلمة ، ولا اجتماع إلا بإمامة وقيادة ، ولا قيادة إلا بسمع وطاعة ، كما قال السلف رحمهم الله . ولقد كان العرب متفرقين قبل بعثة النبي ﷺ متناحرين تقوم بينهم الحروب الطويلة كحرب داحس والغبراء ويوم بعاث ، وغيرها من الحروب التي كانت تطول فيما بينهم إلى مائة سنة أو أكثر وهم في صراع فيما بينهم وعداوة وبغضاء وغارات وثارات حتى مَنَّ اللهُ عليهم ببعثة النبي ﷺ فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى الاجتماع والأخوة فيما بينهم فاستجاب له من كتب الله له السعادة ، واجتمعوا تحت راية التوحيد وتحت قيادة النبي ﷺ ، فزال ما كان بينهم من شحناء، وعداوة وأصبحوا إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداءً متنافرين ، وذكّرهم الله جل وعلا

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بمدينة الأحساء في ١٥/ ٣/ ١٤٢٤هـ .

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ كتاب الكلام باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين ، ورواه مسلم بنحوه في صحيحه ٣/ ١٣٤٠ برقم (١٧١٥) ، كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة .. كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

بهذه النعمة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران :١٠٢-١٠٧] . قال ابن عباس : تسودُّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيضُّ وجوه أهل الاجتماع والائتلاف [(١)] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال :٢٦] . وقال سبحانه : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال :٦٢-٦٣] .

لا يجمع الناس إلا هذا الدين كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) ، فلا يجمع القلوب ويوحد الكلمة إلا العقيدة الصحيحة التي جاء بها محمد ﷺ ، ولا يجمع القلوب ويؤلف بين الناس إلا الإيمان بالله وبرسوله، هذا هو الذي يجمع بين الناس،

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٩٢ .

ولهذا اجتمع المسلمون على رسول الله ﷺ وصاروا أمة واحدة وصار لهم هيبة في الأرض وانتشر دين الله في المشارق والمغارب بسبب اجتماع الكلمة ووحدة الصف . قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال : ٤٥-٤٦] ، ثم لما توفي رسول الله ﷺ حصل اختلاف بين الصحابة فيمن يتولى الأمر بعد النبي ﷺ وسرعان ما زال وانتهى خلافهم واجتمعت كلمتهم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فبايعوه على السمع والطاعة فكان خير القائد بعد رسول الله ﷺ وهكذا كانت دولة الخلفاء الراشدين في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ثم في آخر خلافة عثمان دبر اليهود المكر للمسلمين وأرادوا تفريقهم فدسوا بينهم رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ اليهودي فجعل يطعن في أمير المؤمنين عثمان وينشر بين الناس سبه وتنقصه في خفية ومكر وهو يتجول في بلاد المسلمين وينشر أفكاره الخبيثة ضد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فاجتمع حوله من أوباش الناس وسفهائهم من مختلف البلدان وجاءوا وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته واستحلوا دمه وقتلوه رضي الله عنه فحصل بين المسلمين اختلاف شديد رغم أنهم بايعوا الخليفة الراشد الرابع وهو علي بن أبي طالب لكن لم تنته دسيسة اليهود فواصلوا نشر الشر بين المسلمين واختلف الناس على عليٍّ رضي الله عنه إلى أن قُتل وآل الأمر إلى ابنه الحسن و تنازل الحسن رضي الله عنه عن الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وبتنازل الحسن رضي الله عنه اجتمعت الكلمة ، وسمي العام الذي تنازل فيه عام الجماعة، فقام معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه بالأمر خير قيام وساس الناس بالعدل والحكمة واجتمعت كل المسلمين في عهده وتحقق ما قال الرسول ﷺ حين قال ﷺ للحسن بن علي : «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من**

المسلمين»[١] .فتحقق ذلك بتنازله رضي الله عنه لمعاوية بن أبي سفيان وتم الاجتماع ولله الحمد ، واندحرت فكرة اليهود التي روجوا لها وفسد عليهم الأمر ومع ذلك لم ييأسوا ولا يزالون كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة :٦٤] ؛ لذلك فهم دائماً ما يدسون الدسائس بين المسلمين يريدون بذلك تفريقهم ولكن الله تعالى يقيض للمسلمين من يجتمعون عليه ولو لم يحصل الاجتماع الكامل كما حصل في عهد الخلفاء الراشدين وفي عهد معاوية رضي الله عنه لكن يحصل الاجتماع في بعض البلدان وتقوم جماعات من المسلمين في كل إقليم وفي كل مصر من الأمصار وصاروا دولاً بعد أن كانوا دولة واحدة ولكن كل والٍ من ولاة هذه الدول يقوم في مملكته بالأمر ويجتمع حوله المسلمون ، والحمد لله .

وما زال الإسلام بخير وما زال المسلمون في خير ، وكانت هذه البلاد لها نصيب من الفرقة والاختلاف قبل القرن الثاني عشر ، وفيه أظهر الله مجدداً وداعياً إلى الله وهو الشيخ المجدد الإمام محمد بن الوهاب رحمه الله فدعا الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وقيض الله له من ولاة الأمر من قام معه بالأمر من آل سعود فبايعوه على السمع والطاعة والجهاد فتمت البيعة بين الإمام محمد بن سعود والإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب واجتمعت كلمة المسلمين في أول الأمر في بلدهم ثم واصل الشيخ رحمه الله الدعوة إلى الله وكاتب البلدان وواصل الإمام محمد بن سعود رحمه الله الجهاد في سبيل الله ، وما هي إلا مدة يسيرة حتى توحدت البلاد وسادها الأمن والاستقرار وزال عنها كثير من

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ٢٢٢٢ برقم (٧١٠٩) كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما : « إن ابني هذا لسيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

أمـور الجاهلـية ، واستقر الحكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقام قائم الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر وقائم الجهاد في سبيل الله وقائم الدعوة إلى الله عـز وجـل وتم للمسـلمين في هذه البلاد الأمر واجتمعت كلمتهم وسادهم الأمن والاسـتقرار وأنعـم الله علـيهم بوفرة الأرزاق ولا تزال ـ ولله الحمد ـ هذه البلاد تحـت ظـل هـذه الدعـوة المـباركة وتحـت هـذه القيادة المباركة . ولا تزال في خير واسـتقرار وفي أمـان، كـل ذلـك نتيجة الاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف وتوالت لهـم دول إلى وقتنا هذا كما ترون نحن نعيش في نعمة والحمد لله ؛ صحة العقيدة ، وأمـن في الـبلدان واستقرار وحكم للشريعة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي نعمـة عظـيمة يجـب شكرها ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران :١٠٣] .

نذكر هذه النعمة ونشكرها كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] لا نذكـرها عـلى سـبيل المدح وإنما نذكرها على سبيل الشكر لله تعالى الذي أنعـم بهـا علينـا وسـببها ظاهـر وهو الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين نعمة نحسد عليها ولكن لا تنسوا أن الأعداء ما زالـوا يدسون الدسائس فيما بيننا يريدون تفريق كلمتنا ويريدون زوال هذه النعمة عـنا ؛ لأن الكفـار لا يحـبون أن يروا الإسلام وهو قائم، لا يرضون بذلك: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة : ١٢٠]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٢١٧] ، فلـنكن عـلى حـذر مـن هـذه الدسـائس وهـذه الأفكـار الـتي تـروج فـيما بيننا لتفريق كلمتنا وبث الأحقاد فيما بيننا حتى نتعادى ونختلف ، وحتى تسنح الفرصة للعدول ليتدخل وأن يكون له مكان بيننا ، ولكن نسـأل الله عـز وجـل أن يـرد كـيدهم في نحورهم ، وأن يقي المسلمين شرورهم ،

ولكن لابد من الانتباه ، ولابد من التذكير بهذه النعمة ، ولابد من التحذير من أسباب زوالها ، فإن النعمة إذا لم تشكر فإنها ترفع وتحل محلها النقمة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال :٥٣]، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم :٧].

فيجب علينا الانتباه لهذا وإذا حصل بيننا اختلاف فلنبادر إلى تسويته، وإلى التفاهم فيما بيننا ، وأن يرجع المخطئ إلى الصواب ولا يكابر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء :٥٩] . والرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله (القرآن) ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته بأن يرجع إليه ﷺ ، وبعد موته يرجع إلى سنته كما قال ﷺ : « **فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** »[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي** »[(٢)] ، فهذا هو الواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى

---

(١) رواه الدارمي في سننه بنحوه ١/ ٤٥ في المقدمة ، باب اتباع السنة ، ورواه الترمذي في سننه ٥/ ٤٣ برقم (٢٦٧٦) كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع . ورواه ابن ماجةفي سننه ١/ ١٥ برقم (٤٢) في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، ورواه غيرهم .

(٢) رواه أبوداود في سننه ٢/ ١٨٢ برقم (١٩٠٥) كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، ورواه ابن ماجة في سننه ٢/ ١٠٢٢ برقم (٣٠٧٤) ، كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه .

كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم وأن ينهوا الخلاف والنزاع وأن يحذروا الفرقة والاختلاف والاستمرار في الخطأ ، فإن الرجوع إلى الحق فضيلة . والصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في بعض المسائل الفقهية ولكنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة ، فمن كان معه الصواب صاروا معه وأنهوا الخلاف . هذا عثمان رضي الله عنه يرى إتمام الصلاة في منى ، وكان يصلي بالناس فيتم الصلاة ، وكان عبدالله بن مسعود يرى قصر الصلاة في منى وكان يصلي مع عثمان ويتم معه الصلاة مع أنه يرى القصر فقالوا له في ذلك فقال : (إن الاختلاف شر) [1] ، فكان يصلي مع أمير المؤمنين عثمان ويوافقه على رأيه يتم الصلاة تفادياً للخلاف والتفرق ، وهكذا يجب على المسلمين أن يتلافوا الخلاف والتفرق ولا يصر كل واحد على رأيه، بل يحاولون جمع الكلمة وعدم التفرق والاختلاف ، فإذا كان الأمر يرجع إلى اجتهاد فقهي فإن الناس يجتمعون على كلمة واحدة ، ولا يكون ذلك الاختلاف سبباً للتفرق بينهم ، وفيما ضربته لكم من المثال في قصة عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما خير شاهد على ذلك حتى في العبادة والصلاة ، فابن مسعود رجع إلى رأي عثمان وصلى معه وأتم الصلاة تفادياً للفرقة وقال : (الخلاف شر) .

وفي عهد الإمام أحمد رحمه الله كان المعتزلة استمالوا الخليفة المأمون والمعتصم والواثق فدعوهم إلى القول بخلق القرآن فأجابهم هؤلاء الخلفاء إلى ذلك ، ثم أشاروا عليه أن يجبر الناس على هذا القول فأجبر الناس عليه وصار يرهبهم ويعذبهم حتى الإمام أحمد رحمه الله تناولوه بالضرب والسجن ليقول بخلق القرآن ويوافق الجهمية ، فأبى رحمه الله وقال : هاتوا دليلاً من كتاب الله وسنة رسول

---

(١) رواه أبوداود في سننه ٢/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ برقم (١٩٠٦) بنحوه ، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى ، من حديث عبدالرحمن بن يزيد .

ولكن لابد من الانتباه ، ولابد من التذكير بهذه النعمة ، ولابد من التحذير من أسباب زوالها ، فإن النعمة إذا لم تشكر فإنها ترفع وتحل محلها النقمة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال :٥٣]، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم :٧].

فيجب علينا الانتباه لهذا وإذا حصل بيننا اختلاف فلنبادر إلى تسويته، وإلى التفاهم فيما بيننا ، وأن يرجع المخطئ إلى الصواب ولا يكابر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء :٥٩] . والرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله (القرآن) ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته بأن يرجع إليه ﷺ ، وبعد موته يرجع إلى سنته كما قال ﷺ : « **فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** »[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي** »[(٢)] ، فهذا هو الواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى

---

(١) رواه الدارمي في سننه بنحوه ١/ ٤٥ في المقدمة ، باب اتباع السنة ، ورواه الترمذي في سننه ٥/ ٤٣ برقم (٢٦٧٦) كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع . ورواه ابن ماجةفي سننه ١/ ١٥ برقم (٤٢) في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، ورواه غيرهم .

(٢) رواه أبوداود في سننه ٢/ ١٨٢ برقم (١٩٠٥) كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، ورواه ابن ماجة في سننه ٢/ ١٠٢٢ برقم (٣٠٧٤) ، كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه .

كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم وأن ينهوا الخلاف والنزاع وأن يحذروا الفرقة والاختلاف والاستمرار في الخطأ ، فإن الرجوع إلى الحق فضيلة . والصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في بعض المسائل الفقهية ولكنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة ، فمن كان معه الصواب صاروا معه وأنهوا الخلاف . هذا عثمان رضي الله عنه يرى إتمام الصلاة في منى ، وكان يصلي بالناس فيتم الصلاة ، وكان عبدالله بن مسعود يرى قصر الصلاة في منى وكان يصلي مع عثمان ويتم معه الصلاة مع أنه يرى القصر فقالوا له في ذلك فقال : (إن الاختلاف شر) [1] ، فكان يصلي مع أمير المؤمنين عثمان ويوافقه على رأيه يتم الصلاة تفادياً للخلاف والتفرق ، وهكذا يجب على المسلمين أن يتلافوا الخلاف والتفرق ولا يصر كل واحد على رأيه، بل يحاولون جمع الكلمة وعدم التفرق والاختلاف ، فإذا كان الأمر يرجع إلى اجتهاد فقهي فإن الناس يجتمعون على كلمة واحدة ، ولا يكون ذلك الاختلاف سبباً للتفرق بينهم ، وفيما ضربته لكم من المثال في قصة عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما خير شاهد على ذلك حتى في العبادة والصلاة ، فابن مسعود رجع إلى رأي عثمان وصلى معه وأتم الصلاة تفادياً للفرقة وقال : (الخلاف شر) .

وفي عهد الإمام أحمد رحمه الله كان المعتزلة استمالوا الخليفة المأمون والمعتصم والواثق فدعوهم إلى القول بخلق القرآن فأجابهم هؤلاء الخلفاء إلى ذلك ، ثم أشاروا عليه أن يجبر الناس على هذا القول فأجبر الناس عليه وصار يرهبهم ويعذبهم حتى الإمام أحمد رحمه الله تناولوه بالضرب والسجن ليقول بخلق القرآن ويوافق الجهمية ، فأبى رحمه الله وقال : هاتوا دليلاً من كتاب الله وسنة رسول

---

(١) رواه أبوداود في سننه ٢/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ برقم (١٩٠٦) بنحوه ، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى ، من حديث عبدالرحمن بن يزيد .

الله ﷺ ، وهم يضربونه ويغشى عليه ، فإذا أفاق قالوا : يا ابن حنبل قل كذا ، فيقول : هاتوا دليلاً من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.. وظل هكذا يردد نفس العبارة حتى قال ابن أبي دؤاد المعتزلي : يا أمير المؤمنين اقتله وهو في ذمتي من شدة العداوة لإمام أهل السنة الإمام أحمد، ومع كل ذلك يقول الإمام أحمد: هاتوا لي دليلاً من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ [١] . ثم لما اشتد الأمر بعلماء أهل السنة اجتمعوا بالإمام أحمد وقالوا : يا أبا عبدالله، بلغ الأمر كما ترى، وحاولوه على أن يخلع إمامة الخليفة، فقال لهم اتقوا الله في دماء المسلمين وحذرهم من ذلك وصبر على المحنة ولم يخلع يداً من طاعة بل صبر على الضرب والتعذيب[٢] ؛ لأنه لو خلع يده من طاعة ولي الأمر لحصل ضرر عظيم وسفكت الدماء وتفرقت الكلمة واختل الأمن ، فالإمام أحمد عمل بقول رسول الله ﷺ: «اسمع وأطع ولو أخذ مالك وضرب ظهرك »[٣] ، فصبر رحمه الله لأجل جمع الكلمة وتفادي الفرقة والاختلاف ، فواجب أن نسير على هذا الذي سار عليه سلفنا الصالح ، وأن نتناسى الاختلاف فيما بيننا بمعنى أننا لا نتفرق في مسائل لها احتمال هي عن اجتهاد ما لم يبلغ الأمر إلى الكفر فإننا نصبر على طاعة ولي الأمر ، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا : أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا، وأثرةً علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٦، ٢٤٧ من ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

(٢) انظر السنة لأبي بكر الخلال ص١٣٣ ، والآداب الشرعية ١/ ١٩٥، ١٩٦ .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٧٦ برقم (١٨٤٧) وما بعده كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

برهان »[1] ؛ وذلك لأجل جمع الكلمة وتفادي اختلال الأمن وسفك الدماء ؛ لأن ما يحصل من الفرقة والاختلاف أشد بكثير من الصبر على بعض المخالفات التي لا تصل إلى حد الكفر ولا إلى حد الشرك ، وهذا هو أصل أهل السنة والجماعة أنهم يسمعون ويطيعون لولاة الأمر ولو حصل منهم خلل ما لم يكن هذا الخلل يؤدي إلى الشرك الظاهر والكفر البواح الذي ليس فيه اختلاف كل ذلك من أجل جمع الكلمة وتفادياً للفرقة ، هذا هو منهج المسلمين ومنهج أهل السنة والجماعة ، وهو مدوَّن في كتاب العقائد وهذا أصل عظيم وهو : جمع الكلمة وتفادي الفرقة .

وإذا كان عند الإنسان وعي فليتفاهم مع إخوانه من طلبة العلم ، يتفاهمون في هذا الأمر ويقارنون بين المفاسد والمصالح ، ومعلوم أن من قواعد الدين (ارتكاب أخف الضررين دفعاً لأعلاهما) ، وهذه قاعدة عظيمة ، ونحن الآن كما ترون في وقت فتن ووقت شرور والأعداء يتربصون بنا ويدسون علينا الضغائن والدسائس حتى يفرقوا كلمتنا وحتى نتقاتل ونتناحر فيما بيننا كما حصل لهم ذلك في بلاد أخرى من سفك الدماء ونهب الأموال وضياع الأعراض والفوضى ، هم يريدون منا أن نلحق بهذه البلاد التي دمروها وخربوها، فعلينا أن ننتبه لهذه الدسائس والأحابيل الباطلة ، وأن نجتمع على كلمة واحدة على دين الله وعلى عقيدة التوحيد وعلى السمع والطاعة لولاة أمورنا ، وأن نتناصح فيما بيننا ، وأن نتلافى الخلاف الذي يؤدي إلى الفرقة ؛ والذي عنده رأي أو فكر أو اجتهاد في مسألة من المسائل يخالف اجتهاد الآخر علينا أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ونأخذ بالدليل وننهي خلافنا ، كما حصل من

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ٢٢١٠ برقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦) ، كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي أموراً تنكرونها » .

الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة والرسول ﷺ مسجى بعد موته فلم ينشغلوا بتجهيزه بل اشتغلوا بإنهاء الخلاف ، فاجتمعوا في السقيفة وما تفرقوا إلا وقد بايعوا الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فلما انتهى الخلاف واجتمعت الكلمة انصرفوا إلى تجهيز الرسول ﷺ ، فهذا يدل على أنهم لم يتركوا الخلاف بين المسلمين يتفاقم وينتشر ، بل بادروا في إزالته وتوحيد كلمة المسلمين وإغاظة العدو وسد الطرق التي يتسلل إلينا منها .

فعلينا أن ننتبه لهذا الأمر ، وأن نحافظ على هذه النعمة ونحافظ على هذا الاجتماع الطيب ، على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ ، كما علينا أن نسعى بالنصيحة لمن رأينا عليه خطأً أو خللاً فإننا ننصحه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، كما قال ﷺ : «**الدين النصيحة ـ ثلاثاً ـ**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1] .

فالنصيحة مأخوذة من نصح الشيء إذا خلص[2] ، فالنصيحة هي الخلوص من الغش والخلوص من الخيانة ، لئلا يكون في قلوب بعضنا على بعض غش أو خيانة فيما بيننا ، أو فيما بيننا وبين ولي أمرنا ، بل نكون ناصحين، ظاهرنا كباطننا ناصحين للمسلمين، ليس في قلوبنا غش أو خديعة، وإنما ينشر الخلاف ويفرق بين الناس أهلُ النفاق ومن ورائهم الكفار من اليهود والنصارى الذين يؤجّجون نار الخلاف وينشرونه بين المسلمين .

وينبغي أن يُعلم أن المسائل المصيرية في حياة المسلمين لا يتناولها كل أحد بل ينبغي أن ترفع للعلماء وأهل الرأي والمشورة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١/ ٧٤ برقم (٩٥) كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، من حديث تميم الداري رضي الله عنه

(٢) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٣/ ١٥٧ مادة ـ مقلوبة ـ (ن ص ح) .

أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :٨٣] .

فالأمور لها مداخل ولها أصول ولها أهلها الذين يقومون بها ليس من حق كل أحد أن يتدخل في الأمور العامة وإنما يرد هذا الأمر إلى أهله أهل العلم وولاة الأمور ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء :٨٣] هذا في حياته ﷺ ، وبعد موته ترد الأمور إلى سنته ، وسنته يعرفها العلماء فيرد إلى العلماء الذين يعرفون سنة الرسول ﷺ . والمسلمون كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضهم بعضاً ، فكل شيء له مرجع وإلا صارت الأمور فوضى فالمسائل العامة والمسائل المصيرية ترد إلى المراجع المعتمدة إلى أهل الرأي والبقية تبع لهم . فكلٌّ عليه مسئولية حسب ما يليق به فلا يتدخل أحد في اختصاص الآخر فهذا ليس من الصلاح ولا من الإصلاح بل هذا من الفوضى ، وليس هذا من النصيحة لأمة المسلمين وعامتهم بل هذا مما يضر المسلمين ويشتت آراءهم وتحدث بينهم البلبلة والتصدع ، فالمسلمون جماعة واحدة لهم رؤوس ولهم قادة كما قال الشاعر :

البيت لا يُبنى إلا على عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن ... بلغوا الأمر الذي كادوا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جُهّالهم سادوا

فليست الأمور فوضى ؛ لأن الفوضى لا يرضى بها الله ولا رسوله ﷺ ولا المسلمون ، فالمسلمون لهم قادة ، ولهم علماء ولهم مراجع يتولون مهام الأمر والمشكلات العامة التي يتعلق بها مصير المسلمين . فيجب أن ننتبه لهذا الأمر وأن نتناصح فيه وأن ننصح إخواننا الذي يتعجلون الأمور ونقول لهم : هذا ليس إليكم ـ أصلحكم الله ـ ، هذا إلى مصادره ومراجعه ، أنتم عليكم بشؤونكم

الخاصة وبما يتعلق بكم ، أما أمور المسلمين العامة فهذه لها مصادرها ومراجعها : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء :٨٣] لا سيما عند الفتن التي تحدث في المجتمع ، فهذه لا نتناولها في مجالسنا ولا يتكلم فيها الصغير والكبير والجاهل والمتعلم وكل منهم له رأي فيها فهذه فوضى ، فالمسلمون كالجسد الواحد وكل عضو له وظيفة فلا يقوم عضو بوظيفة العضو الآخر ، كذلك فلا يتولى رعاع الناس وصغار الأسنان والمبتدئون في طلب العلم يتولون المسائل الكبار التي تتعلق بمصير الأمة ومصلحتها ، هذه لها أهلها المنوطة بهم ، وأنت لك شأن خاص في خاصة نفسك وفي أهل بيتك وأولادك ، فأنت راع على من تحت يدك ، و لهذا يقول ﷺ : « **كلكم راعٍ وكلكم مسؤول ، فالإمام راعٍ وهو مسؤول ، والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة** » [(١)] .

فليس من صلاحيات الإمام أن يتدخل في البيت ، فالبيوت يتولاها أصحابها، وليس من صلاحيات أصحاب البيوت أن يتدخلوا في شأن الإمام ، ولكن كل له مسؤوليته وكل له رعيته يقوم عليها ، أما أن يتدخل هذا في شؤون هذا فهذه فوضى ولا تصلح ، ونرجو من إخواننا وأبنائنا أن يفهموا هذا الأمر لا سيما في هذه الظروف الصعبة ، ويبعدوا عنهم الاختلاف وتشتت الآراء والتدخل فيما لا ينفع الإنسان ، فإن هذا ليس من مصلحة المسلمين ، وإنما يضرهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٣/ ١٦٦٧، ١٦٦٨ برقم (٥١٨٨) كتاب النكاح ، باب ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ﴾ من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وورد بلفظ قريب منه برقم (٥٢٠٠) من الصحيح .

الأسئلة

س : فضيلة الشيخ : ينادي المسلمون بالاجتماع ونبذ الاختلاف ، ولكن كيف يتم ذلك مع اختلاف مصادر التلقي عند أبناء الصحوة الإسلامية مما جعلهم يعيشون في دوامة الانحرافات الفكرية والتخبطات المنهجية ، ولذا نرجو علاج هذه القضية الخطرة ؟

الجواب : نعم ، هذا سؤال مهم وهو أنه لابد للناس من طلب العلم، ولابد للناس من أن يتعلموا ، ولكن أين يتعلمون ؟ يتعلمون على أيدي أهل العلم ويتلقون العلم على أهله ومصادره الأصيلة كما كان سلفنا الصالح رحمهم الله ، كانوا يتلقون العلم عن العلماء ويسافرون إليهم ولو في أقصى البلاد ، ويصبرون على التعب والجوع والمشقة والغربة ويسافرون لطلب العلم عن أهله كما قال قائلهم : إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم . فلا تأخذوا العلم إلا عن أهله المعروفين به ، لا تأخذوا العلم عن كل أحد ، فلا تأخذوا العلم عن مضلل أو ضال في عقيدته أو في دينه ، أو مبتدع ، خذوا العلم عن العلماء من أهل السنة والجماعة المعروفين بالعلم ولو أن تسافر إليهم وتسكن عندهم .

واليوم ـ ولله الحمد ـ الأمور ميسرة ، فسهل الآن التلقي عن أهل العلم في المساجد والمدارس والمعاهد وفي الجامعات ، لا تتلق العلم عن كتب تقرأها فتفهم خطأ وتعتمد عليه ، كما لا تتلق العلم عن صغار السن المبتدئين الذين لم ترسخ أقدامهم في العلم ، وأشد من ذلك لا تتلق العلم من المبتدعين الضالين ، بل تلقه من مصادره الصحيحة المعتمد عليها وهي ميسرة ولله الحمد . وإذا أشكل عليك شيءٌ فالهاتف والجوال موجودان ، اسأل ، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء :٧]، فالأمور ميسرة ولكن بعض الناس لا يريدها ولا يرى العلماء شيئاً ولا يخضع لهذا الأمر ، أو بعضهم ما عنده صبر

لـتلقي العـلم ، وتلقي العلم يحتاج إلى صبر طويل ووقت والعلم كما يقولون : إذا أعطيـته كلـك أعطـاك بعضـه، والله جـل وعـلا يقول : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسـف :٨٦] ، فـلا تظن أنك إذا قرأت صرت عالماً ، ومن قال أنا عالم فهـو جـاهل كما يقول العلماء .. فالإنسان دائماً بحاجة إلى العلم ، والله جل وعلا قـال لرسوله الذي هو أعلم الخلق، قال لـه : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه :١١٤]، فالرسـول ﷺ بحاجـة إلى زيـادة العـلم فكـيف بـك أنـت؟! .. فعليك بمعرفة قدر نفسـك، واعـلم أنـك جـاهل بحاجـة إلى العـلم، فـلا تظن أنك تستغني عن العلم وتستغني عن العلماء .

س : في بـاب الاجـتماع ونبذ الفرقة ، وفي لَمِّ الشمل وجمع الكلمة نأمل من معالـيكم الـتكرم بتوجـيه كـلمة لشبابنا الذين هم في الأصل على منهج السلف الصـالح لأهمية تخلقهم بأخلاق السلف الصالح والتماس العذر للمخالف من إخوانهـم مـن أهل السنة والجماعة في الأمور التي تختلف فيها الأفهام وإساءة الظن والحديـث عـن النـيات خصوصاً من لـه مسوغ من قول بعض أهل العلم في هذه البلاد.

الجـواب : هـذا هـو ما ذكرنا ؛ فالإنسان لا يعتمد على علمه هو فيكون فهمه خطـأً ؛ لا سـيما إذا كان ما عنده قواعد علمية ، ما درس قواعد العلوم وما درس المـتون ولا فهمها ، وإنما أخذ الأمر بالمطالعة ، وهذا لا يصلح، فيجب طلب العلم والجلوس بين يدي العلماء ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

ومـــــن لم يـــــذق ذل التعـــــلم ســـــاعة

تجـــرع كـــأس الجهـــل طـــول حـــياتـه

فلابـد مـن الاتصال بأهل العلم ، ولا تحتقر العلماء وتقول هم لا يفهمون ولا عـندهم فهـم في الواقـع ، وأنهـم يعيشـون في بـروج عاجـية كما يقول بعضهم ،

ويـزهّد في العـلماء ويحقرهم ويتهمهم بالانعزال والانطواء ، وأنهم مشغولون بفقه الجزئيات ، فهـذا كله كلام للتنفير من أهل العلم والفصل بين الشباب والعلماء ، وإذا بلغ الأمر إلى هذا الحد فقل على الأمة السلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

س: كانت هذه البلاد ولا تزال ـ بحمد الله ـ تسير على منهج السلف الصالح، وكـان أهـلها مـتحابين مـن شـرق الـبلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، فما أسباب هذه التفرقة والاختلاف الذي نراه اليوم؟ وهل هذه الفرق والجماعات التي نراها كلها على خير، وهل يجب بينهما وحدة الصف لا وحدة الرأي كما يقال ؟ .

الجـواب : نطلب من الله عز وجل أن يثبت أهل هذه البلاد على الحق وتجنب الفـرقة قـال الله جـل وعـلا : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] فننصـح إخوانـنا الذيـن صار عندهم بعض الاختلاف أو بعض التفرق في الـرأي أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ وإلى منهج السلف الصالح ، ويلـزموا ذلـك والمخطـئ يـرجع عـن خطأه ، والمصيب يحمد الله على الصواب، ويسـأل الله الثبات علـيه ، فهـذا هـو المطلـوب ، وأمـا من يقول بوجوب وحدة الصـف دون وحـدة الكلمة فهذا مستحيل ، وهذا تناقض ، فكيف يتوحد الصف مـع اخـتلاف الكـلمة ؟ لا يمكن أن يتحد الصف مع اختلاف الكلمة ، إنما يتحد الصف مع وحدة الكلمة .

س : هـل تعد ما يسمى بالجماعات الإسلامية والمناهج من الاختلاف الممنوع أم من الاختلاف الجائز ؟

الجـواب : لـيس هـناك مـناهج مـتعددة إنمـا المـنهج واحد ؛ هو منهج الكتاب والسـنة الـذي علـيه سلف الأمة ، وما خالف هذا المنهج فهو مرفوض ومردود ، قـال الله تعـالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام :١٥٣] فننصح إخواننا الذي صار عندهم بعض الاختلاف أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى منهج السلف الصالح ويلزموا ذلك والمخطئ يرجع عن خطئه والمصيب يحمد الله على الصواب ويسأل الله الثبات عليه ، وهذا هو المطلوب .

* * *

أكثر من قضية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فهذه قضايا تروج في الساحة وتختلف وجهات النظر حولها ويتناولها الكبير والصغير ، والعالم والجاهل والناصح ؛ مما يسبب تشويشاً على الأفكار وحيرة بين الناس .. وهذه القضايا :

أولاً : قضية توجيه الشباب .. لا شك أن الشباب هم عماد الأمة بعد الله ، والأعداء يركزون عليهم أكثر ليضلوهم عن سواء السبيل حتى تخسرهم أمتهم تارة بترويج الأفكار الهدامة ، وتارة بترويج المخدرات ، وتارة بالإغراء بالشهوات ، وتارة بالخروج على مجتمعهم ومحاولة تدميره والإخلال بأمنه ، وتارة ببث المناهج الحزبية والتفرقات الجماعية حتى يصبح ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم :٣٢] . ولا شك أنه يجب على الأمة حيال هذه التوجهات المختلفة حماية شبابهم منها . وأول من يخاطب بذلك الوالدان فهما المربيان الوحيدان للطفل في أول نشأته ، قال النبي ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[1] والله تعالى يقول لهذا المولود إذا كبر : ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء :٢٤] ، ثم على المدرس قسط أكبر من توجيه الشباب وهم على مقاعد الدراسة ؛ فالطالب يتأثر بأستاذه وتنطبع فيه ممارسته ؛ لأنه يرى فيه القدوة والموجه، فعلى المدرس أن يغرس في الطالب العقيدة الصحيحة والمنهج السليم والأخلاق الفاضلة والسير على منهج السلف

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١/ ٤١٠ برقم (١٣٨٥) كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الصالح كما قال الإمام مالك رحمه الله : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها » . ثم على المجتمع عموماً وعلى العلماء خصوصاً العناية بتوجيه الشباب ومقاومة الأفكار الوافدة والمناهج المنحرفة وبيان ما فيها من تضليل وتلبيس ومكر وخداع ، وعلى ولاة الأمور ـ وفقهم الله ـ بما أعطاهم الله من السلطة وحملهم من المسؤولية المحافظة على شباب الأمة ، ومنع تسربات الأفكار الدخيلة والمناهج المشبوهة ودعاة الضلال إليهم . فإذا تضافرت الجهود وبذلت الأسباب حصلت النتائج الطيبة ـ بإذن الله ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ثانياً : قضية الحوار والمناظرة ؛ لا شك أن الحوار المثمر والمناظرة الجادة إذا كان يقصد بهما بيان الحق والدعوة إليه أن ذلك ما أمر الله به، قال تعالى : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل :١٢٥]، وقال تعالى : ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، فنحاور ونناظر المخالف ليرجع إلى الحق ويثوب إلى الرشد قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، ومن لم يرجع إلى الحق بعدما تبين له فإننا نقيم عليه الحجة ولا نتنازل عن شيء من الحق إرضاء للمخالف، فإن هذا من المداهنة ، قال تعالى : ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم :٩] ، وقال تعالى : ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ [الواقعة :٨١] ، وقال تعالى : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ۝٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ۝٧٥﴾ [الإسراء :٧٣-٧٥] .

ثالثاً : قضية الولاء والبراء : ومعناهما محبة المؤمنين ومناصرتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم ، والله تعالى أمرنا بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة :٥٥-٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة :١] ، وقال تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة :٢٢] إلى غير ذلك من الآيات .

وليس معنى معادة الكفار وبغضهم إننا نظلمهم أو نعتدي عليهم ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة :٨] ، بل يجب علينا الوفاء بالعهود معهم وأن نعقد الهدنة بيننا وبينهم إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك ، وأن نحترم دماء المعاهدين والمستأمنين والذميّين وأموالهم ، وألا نقتل نساءهم ولا صبيانهم ولا شيوخهم إذا دارت المعركة بيننا وبينهم ، ولا مانع من التعامل مع الكفار بتبادل المنافع والتجارة والاستفادة من خبراتهم ومصنوعاتهم ، ولا مانع من مكافأة المحسنين منهم إلينا ، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة :٨] ، ولا مانع أن نأكل من ذبائح أهل الكتاب ونتزوج من نسائهم المحصنات ، وهذه تعاملات دنيوية لا تقتضي محبتهم في القلوب بل نتعامل معهم هذه التعاملات مع بغضهم في القلوب .

فدين الإسلام ليس دين محبة فقط ، كما يقول بعض الجهال وإنما هذا دين

النصارى ، ولا دين بغض فقط كما يقول المتطرفون الغلاة ، وإنما هو دين محبة للمؤمنين وبغض للكافرين ، فالناس على ثلاثة أقسام ، منهم من يحب محبة خالصة وهو المؤمنن المستقيم ، ومنهم من يُبغض بغضاً خالصاً وهم الكفار . ومنهم من يحب من وجه ويبغض من وجه وهو المؤمن الفاسق ، يحب لما فيه من الإيمان ، ويبغض لما فيه من المعصية.

رابعاً : قضية اختلاف العلماء والموقف من ذلك :

الاختلاف على أقسام :

القسم الأول : الاختلاف في العقيدة : وهذا لا يجوز ؛ لأن العقيدة ليست مجالاً للاجتهاد والاختلاف لأنها مبنية على التوقيف ولا مسرح للاجتهاد فيها والنبي ﷺ لما ذكر افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة قال : « **كلها في النار إلا واحدة** » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : «**هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي** »[1] .

القسم الثاني : الخلاف الفقهي الذي سببه الاجتهاد في استنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية ، إذا كان هذا الاجتهاد ممن توفرت فيه مؤهلات الاجتهاد ولكنه قد ظهر الدليل مع أحد المجتهدين فإنه يجب الأخذ بما قام عليه الدليل وترك ما لا دليل عليه . قال الإمام الشافعي رحمه الله : أجمعت الأمة على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن ليدعها لقول أحد ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء :٥٩] قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٢٦ برقم (٢٦٤١) كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة . ورواه غيره بألفاظ أخرى .

العـــــلم قـــــال الله قـــــال رســـــوله

قـــال الصـــحابة هـــم أولـــو العـــرفان

مـــا العـــلم نصـــبك لـــلخلاف ســـفاهة

بـــين النصـــوص وبـــين قـــول فـــلان [1]

وقال آخر :

ولـــيس كـــل خـــلاف جـــاء معتـــبراً

إلا خـــلاف لـــه حـــظ مـــن الـــنظر

وقال آخر :

العـــــلم قـــــال الله قـــــال رســـــولـه

قـــال الصـــحابة لـــيس خـــلاف فـــيه

مـــا العـــلم نصـــبك لـــلخلاف ســـفاهة

بـــين النصـــوص وبـــين رأي فقـــيه

القسم الثالث : الاجتهاد الفقهي الذي لم يظهر فيه دليل مع أحد المختلفين فهذا لا ينكر على من أخذ بأحد القولين ، ومن ثم جاءت العبارة المشهورة : « لا إنكار في مسائل الاجتهاد » وهذا الاختلاف لا يوجب عداوة بين المختلفين ؛ لأن كلاً منهم يحتمل أنه على الحق .

هذا وبالله التوفيق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

(١) انظر شرح قصيدة ابن القيم ٢/ ١٥٢ بشرح د. محمود خليل هراس.

سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب (٣)

الجهاد أنواعه وأحكامه

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة [١]

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فإن الجهاد في سبيل الله عز وجل فريضة عظيمة ، وهو قوام الدين كما قال ﷺ : « **رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله** »[٢] ، وقد أمر الله به في كثير من الآيات وحث عليه ورغَّب فيه ، وكذلك نبينا محمد ﷺ أمر بالجهاد ورغب فيه ، وحث عليه وبيَّن فضله وبيَّن فوائده ، حتى إن بعض العلماء عدَّه ركناً سادساً من أركان الإسلام لأهميته ، ولكثرة ما جاء في شأنه من الآيات والأحاديث وهذا مما لا شك فيه ، وهو مجمع عليه بين أهل العلم ، وهذا مدوَّن في كتب الحديث وفي كتب الفقه ، وفي كلام أهل العلم وله شروط وضوابط أخذوها من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ؛ لأنه أمر مهم .

ولكن في وقتنا هذا كثر القيل والقال في هذه المسألة العظيمة وتناولها أناس ليس عندهم بصيرة ولا علم ، فتكلموا في الجهاد، ما بين متشدد وغال فيه ، وما بين جاف ومتساهلٍ في أمر الجهاد ، حتى إن بعض الجهال وبعض المغرضين من أعداء الإسلام يصفون الجهاد في الإسلام بأنه وحشية وأنه إكراه على الدين ،

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في الجامع الكبير بالرياض في ٤/ ٢/ ١٤٢٤هـ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٥/ ١٣ برقم (٣٦١٦) كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ورواه غيره .

والله جل وعلا يقول : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة :٢٥٦] ويزعمون أن الإسلام ليس فيه قتال وليس فيه جهاد ، هذا جانب .

والجانب الآخر : متشدد فيه ويتكلم فيه بغير علم وبغير بصيرة وبغير ضوابط شرعية ، لذلك ينبغي الاهتمام ببيان هذا الأمر العظيم .

لقد قال النبي ﷺ : « **إن في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله** »[1] الحديث ، والله جل وعلا يقول: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

والجهاد فريضة قديمة ، فقد جاهد موسى عليه السلام، فخرج ببني إسرائيل غازياً ، قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة :٢١] فحصل منهم ما حصل وعاقبهم الله بما ذكر الله في هذه الآيات من سورة المائدة ، وفي النهاية وبعد موت موسى عليه السلام قاموا بالجهاد وفتحوا بيت المقدس ودخلوا فيه بالجهاد في سبيل الله عز وجل ، فنفذوا ما أمرهم الله به لكن بعد تباطؤ وتلكؤ .

وكذلك في بني إسرائيل من بعد موسى كان الجهاد مشروعاً كما قال تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ٢٣١٦ برقم (٧٤٢٣) كتاب التوحيد ، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ، ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ .

مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ ﴾ [البقرة :٢٤٦] إلى أن قال لهم نبيهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ ﴾ [البقرة :٢٤٧] فحصل منهم ما حصل من الجدال كعادة بني إسرائيل، ثم إنهم لما خرجوا من طالوت وفصل بهم، يعني خرج بهم غازياً في سبيل الله لقتال الكفار حصل امتحانهم بالنهر الذي ابتلاهم الله به ، ولم ينجح في هذا الابتلاء إلا عدد قليل: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾ [البقرة :٢٤٩]، فلما جاوز طالوت النهر ومن معه من الجنود قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ﴾ [البقرة :٢٤٩-٢٥١] فهذا دليل على أن الجهاد أمرٌ ماضٍ في الأمم قبلنا، وكذلك سليمان عليه السلام وشأنه مع بلقيس ملكة سبأ وأنه قال : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل :٣٧] ، فهذا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام هدد هذه الملكة بأن يغزوها بجنود لا قبل لأهل اليمن بهم ، فما كان إلا أن خضعت

واستسلمت وجاءت مسلمة وقالت : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل :٤٤].

الشاهد أن الجهاد موجود في الشرائع القديمة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات :٥٦-٥٧] ، فالله خلق الخلق لعبادته وتكفل بأرزاقهم ، فلما حصل من بعض العباد خروج عن طاعة الله وتكبر عن عبادة الله التي خلقوا من أجلها ، فإن الله سبحانه وتعالى انتقم منهم ، فكان في الأمم السابقة ، أن الأمة إذا عصت وعتت عن أمر الله ولم تنقد لنبيها ، أن الله يأخذها بالعقوبة المستأصلة فيهلكون عن آخرهم ، كما حصل لقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ممن أهلكهم الله عن آخرهم لما تمردوا على أنبيائهم وتكبروا عن عبادة الله ، وأصروا على عبادة غير الله ، وأصروا على الشرك ، فإن الله جل وعلا يستأصلهم عن آخرهم ولا ينجو إلا أهل الإيمان ، لا ينجو إلا الرسل وأتباعهم . ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد ذلك شرع الجهاد بدلاً من الهلاك العام، عقوبة للكفار الذين أبوا أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى وتكبروا عما خلقوا له ، شرع الله الجهاد فكان من سنة الأنبياء بعد القرون الأولى إلى أن جاء نبينا ﷺ فمضى على هذه الشريعة وهي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وإزالة الشرك والكفر ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال :٣٩] .

هذه هي الحكمة في مشروعية الجهاد ؛ لأجل أن يعبد الله وحده كما قال عليه الصلاة والسلام : « **بُعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له..**»[1] الحديث ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٩/ ١٢٣ برقم (٥١١٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال عليه الصلاة والسلام : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله**»[١] .

والجهاد مصدر جاهد جهاداً[٢] ، والمراد به بذل الجهد في طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته ، ومن ذلك قتال الكفار ، فالجهاد أنواع ، والمسلم لا يزال في جهاد من هذه الأنواع ، وهو خمسة أنواع :

الأول : جهاد النفس : بأن يجاهد نفسه في طاعة الله ، بأن يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر، ولن يستطيع المسلم أن يجاهد غيره إلا إذا جاهد نفسه أولاً.

الثاني : جهاد الشيطان : فإذا فرغ من جهاد نفسه بدأ في جهاد الشيطان بأن يعصيه فيما أمره به ، ويفعل ما نهاه عنه .

الثالث : جهاد العصاة من المسلمين : وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك يكون بحسب الاستطاعة ، قال ﷺ : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان** »[٣] ، وفي رواية : « **وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** »[٣] .

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٢/ ٩٠٨ برقم (٢٩٤٦) كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر تاج العروس من جواهر القاموس ٧/ ٥٣٧ مادة (جهد) .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١/ ٦٩ برقم (٤٩) كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان .. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والرواية المشار إليها في حديث آخر برقم (٥٠) أوله : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ... » الحديث من رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

الرابع : جهاد المنافقين : وذلك بدحض شبههم والرد على افتراءاتهم ، ويجب جهادهم والحذر منهم كما قال الله عز وجل : ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ [المنافقون : ٤] ، وجهادهم يكون باللسان قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم :٩] .

الخامس : جهاد الكفار : وذلك يكون بحمل السلاح ودخول المعارك لنشر دين الله ، ودحر الشرك وأهله ، وقد فرض الله على هذه الأمة الجهاد في سبيله، ولكن شرعه بالتدريج، فيوم أن كان النبي ﷺ بمكة ومعه المسلمون كانوا منهيين عن الجهاد ، مأمورين بكف أيديهم ، فقد ظل النبي ﷺ في مكة مدة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو إلى الله عز وجل ورغم ما كان يلاقيه من قومه من عنت ومشقة ، والعلة في ذلك أن المسلمين كانوا في حالة من الضعف ، فلو أمروا بالقتال وهم على مثل هذه الحالة لتغلب عليهم العدو واستأصل شأفتهم وأماتوا دعوتهم . ثم لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ووجد الأنصار والأعوان أذن الله سبحانه وتعالى لهم بالجهاد ـ إذناً لا أمراً ـ فقال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج :٣٩] ، فأذن لهم بالجهاد وأباحه لهم بعد أن كان محرماً عليهم . ثم بعد ذلك أمروا بقتال من قاتلهم ، والكف عن من لم يقاتلهم ، قال تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة :١٩٠] فأمروا بقتال من قاتلهم فقط .

ثم بعد ذلك أُمروا بالقتال مطلقاً ـ من قاتلهم ومن لم يقاتلهم من الكفار ـ لأجل إعلاء كلمة الله ، وذلك لما صارت لهم قوة ودولة وعظمت شوكتهم ، فأمرهم حينئذٍ بالجهاد قال تعالى : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة :٥] ، وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة :١٤] .

فأُمروا بقتال الكفار حتى يسلموا ؛ لأن هذا هوما خلقوا من أجله وهو عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم فهو المستحق للعبادة ، ولا يجوز أن تصرف العبادة لغيره ، وهذا هو غرض الجهاد ـ إعلاء كلمة الله وإفراده سبحانه بالعباد ـ ولذلك لو تابوا وآمنوا ما قوتلوا ، ولو ترك الكفار من غير قتال لاستطال شرهم على المسلمين ؛ لأنهم لا يرضون أن يبقى على وجه الأرض مسلم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة :٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة :١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء :٨٩] ، وقال تعالى : ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة :٢٠] فلو لم يقاتلوا لاستطالوا على المسلمين بالتقتيل والتشريد والتخريب والأذى كما هو مشاهد وظاهر الآن لما عطل الجهاد وتوقف عنهم تفرغوا هم لذلك ، فشرعوا في إرساليات التنصير وبسط النفوذ ، وغير ذلك .

ولما سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل من أجل المغنم ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** »[1] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٣٢٩ برقم (٧٤٥٨) كتاب التوحيد ، باب ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ وورد بألفاظ برقم (١٢٣)، (٢٨١٠) ، (٣١٢٦) من الصحيح ، من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

أما من يقاتل لغير ذلك فليس في سبيل الله ، والذي يقاتل في سبيل الله إن قتل فهو شهيد ، وإن لم يقتل فهو مأجور ومثاب ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران ١٦٩:، ١٧٠] فإذا لم يُقتلوا عادوا بأجر وغنيمة وعز وشرف في الدنيا والآخرة .

والجهاد في سبيل الله ـ كما فصله العلماء ـ على قسمين :

القسم الأول : فرض عين على كل مسلم يستطيع الجهاد ، وذلك في ثلاث حالات :

الأولى : قتال الدفع عن البلد إذا حاصر عدوهم من الكفار، فإنهم يقاتلون ، ويجب على كل من يستطيع الجهاد أن يقاتل للدفاع عن حرمات المسلمين الذين في البلد .

الحالة الثانية : إذا استنفره الإمام للجهاد وجب عليه الامتثال ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة :٣٨] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا** » [(١)] .

الحالة الثالثة : إذا حضر القتال وفيه قوة ، فإنه لا يجوز له أن يفر من الزحف

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٢/ ٩٤٦ برقم (٣٠٧٧) كتاب الجهاد والسير ، باب لا هجرة بعد الفتح ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

بل يجب عليه أن يقاتل ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال : ١٥، ١٦] فالفرار من الزحف كبيرة من كبائر الذنوب .

ففي هذه الأحوال الثلاث يكون الجهاد على الأعيان (أي فرض عين على كل مسلم مستطيع) .

القسم الثاني : فرض كفاية ويسمى جهاد الطلب ، وهو أن نغزو الكفار في بلادهم وهذا فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وبقي في حقهم سنة من أفضل القربات ، والله سبحانه أوجب على المسلمين إذا كان عندهم قوة أن يغزوا الكفار لإعلاء كلمة الله وإزالة الشرك والوثنية، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال : ٣٩] فيجب على المسلمين إزالة الكفر والشرك من الأرض وإرجاع الناس إلى عبادة ربهم التي خلقوا من أجلها . ولكن قبل القتال لابد من دعوة الكفار إلى الدخول في الإسلام ، فإن أبوا ولم يقبلوا الدعوة فإنه يجب غزوهم وقتالهم ؛ ولهذا فإن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وأوجب الله عليه القتال ـ قتال الطلب ـ صار يراسل الرؤساء والملوك فيكتب لهم ويدعوهم إلى الإسلام ، كما كتب لكسرى وكتب لقيصر، وكتب لغيرهم من ملوك الكفرة يدعوهم إلى الإسلام[1]؛ لأن رسالته ﷺ عامة للبشرية فيجب على كل البشر وكل الجن

---

(١) انظر مثلاً : صحيح البخاري ٢/ ٩٠٤، ٩٠٥ برقم (٢٩٣٨-٢٩٤٠) كتاب الجهاد والسير ، باب دعوة اليهود والنصارى وما يقاتلون عليه وما كتب النبي إلى كسرى وقيصر ، والدعوة قبل القتال وباب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

والإنس أن يتبعوا هذا الرسول ﷺ .

فيدعوهم إلى الله أولاً ، فإن استجابوا وإلا فإنه يقاتلهم ؛ لأنها انقطعت معذرتهم وقامت عليهم الحجة ، وكذلك كان ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية يوصيه في خاصة نفسه بتقوى الله ثم يوصيه ومن معه من المسلمين ويقول له : « **إذا حاصرت عدوك من المشركين فادعهم إلى الله عز وجل ، فإن استجابوا وإلا فاطلب منهم الجزية ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم** »[1]، ولما أعطى الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال له: «**امض على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعم**»[2] .

فنحن لا نقاتل الكفار من أجل الطمع في بلادهم وأموالهم وإنما نقاتلهم لأجل مصلحتهم هم ؛ لأجل إنقاذهم من النار وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فنحن نقاتلهم من أجل مصلحتهم وإنقاذهم من الكفر والشرك ، ونحن نتحمل في ذلك المشقة والجراح والقتل كله لأجل مصلحة البشرية ، وليس ذلك للطمع في شيء من الدنيا كما يظن بعض الجهلة أو بعض المغرضين ، ولذلك نبدؤهم بالدعوة فإن استجابوا لم يحتج لقتال ، أما إن تمردوا وعتوا فإنهم يُقاتَلون .

والذي يأمر بالقتال وينظمه هو إمام المسلمين ؛ لأنه من صلاحياته يقوم بذلك بنفسه أو من ينيبه ، ولا يجوز للمسلمين الجهاد بدون إذن الإمام إلا في حالة واحدة إذا دهمهم عدو يخشون بأسه فإنهم يدفعونه ، وهذا الدفع لا يحتاج

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٥٧ برقم (١٧٣١) وما بعده كتاب الجهاد والسير باب الجهاد والسير من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٢/ ٩٢٥ برقم (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

لإذن الإمام ؛ لأن هذا درءٌ للخطر ، قال ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم » (١) ، فلابد للمسلمين من قيادة وإمامة تنظم الجهاد والغزو في سبيل الله . والمسلمون لابد أن يكونوا تحت إمام وتحت قيادة ، وهم أمة واحدة فلا يجوز التفرق والاختلاف لا سيما في أمور الجهاد، فإنهم إذا اجتمعوا مع إمامهم وتحت قيادته صار ذلك أقوى لهم وأهيب لعدوهم ، أما إذا تفرقوا واختلفوا وكلٌّ يرى نفسه أنه صاحب الصلاحية ولا يخضع لإمام فهنا تحل الكارثة بالمسلمين ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال :٤٥-٤٧] أمرنا سبحانه وتعالى بالاجتماع تحت قيادة واحدة ، حتى تقوى ريحُنا ويبقى جمعنا متكاتفاً ، فإذا صار كل واحد منا مفتياً لنفسه ، لا يرجع إلى إمامة ولا قيادة فهذا هو التفرق ، والعياذ بالله . وهذا يُفرح العدو والله يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ كتاب الكلام ، باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين، ورواه مسلم بنحوه في صحيحه ٣/ ١٣٤٠ برقم (١٧١٥) كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات ، وهو الامتناع عن أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحق . كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا ، ... » الحديث [١] .

فلابد للمسلمين من قيادة وإمامة ، ويجب عليهم الحذر من الشذوذ والتفرق والاختلاف ، فلا ينظم الجهاد والغزو غير الإمام ، فشؤون الجهاد من صلاحيات الإمام ؛ لأنه ليس بالأمر الهين بل هو أمر مهم يحتاج إلى اجتماع وقوة وتنظيم وإعداد ، فلابد إذاً من إذن الإمام وقيادته ، فهذا هو الجهاد في سبيل الله ، والغاية منه إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ونشر هذا الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ولهذا فإن الرسول ﷺ قبل وفاته لما كاتب الملوك وبلغ الدعوة شرع في الجهاد ، فجهز الجيوش وغزا الكفار في بلادهم ، ثم لما توفي ﷺ واصل أصحابُه الجهاد في سبيل الله الذي بدأه الرسول ﷺ فغزوا فارس والروم ونشروا هذا الدين بالدعوة والعلم والجهاد في سبيل الله حتى بلغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها ، وتحقق قول الله عز وجل : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣٣] ، هذا هو دين الإسلام ، ودين العدل والخير والهداية ، وهو نعمة عظيمة لا يجوز أن نستأثر بها ونترك الناس بل لابد أن ننشر ونعمم هذا الخير على البشرية فهو مسؤوليتنا أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، فهذا الدين ليس لنا وحدنا بل هو للبشرية ، ولن ينتشر هذا الدين في البشرية إلا بأمرين : الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيل الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران :١١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران :١٠٤]،

---

(١) تقدم قبل قليل .

هـذه وظـيفة المسلمين أن ينشروا هذا الدين بالدعوة والإرشاد وبالجهاد في سبيل الله عـز وجـل ، وبذلـك ينتصر هذا الدين ، والله جل وعلا يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحـج :٤١] ، فـنحن إن تمكـنّا في الأرض لا نقتصـر عـلى أخـذ الأمـوال وجـباية الخـراج ومـا أشبه ذلك ؛ بل لابد أن نقيم الصـلاة ونلـزم بإقامـتها ونأمـر بالمعـروف وننهى عن المنكر في جميع بلاد الله عز وجـل الـتي تكون تحت سلطتنا ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [الـنور :٥٥] هذا هو الأساس ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ وبعـده الجهـاد في سـبيل الله لأجـل أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً وهذه هي دعوة الرسل كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [الـنحل : ٣٦] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبـياء :٢٥] هـذه هـي الغايـة مـن الجهاد في سبيل الله وهذه بعض أحكامه وهذه بعض آدابه .

والجهـاد لـه بـاب عظـيم في مؤلفـات أهـل العـلم يرجع إليها وتستقرأ هذه الأحكـام مـن كتاب الله وسنة رسوله ، ويسأل عنها أهل العلم وأهل البصيرة ، لأن الجهـاد أمـره عظـيم ، إذا نُظِّـم وصـار عـلى ما رسمه الله عز وجل ، صار جهاداً نافعاً للامة ، أما إذا كان فوضى وبغير بصيرة وبغير علم فإنه يصبح نكسة للأمـة وعـلى المسـلمين ، فكـم يقتل من المسلمين بسبب مغامرة جاهل أغضب

الكفار ـ وهم أقوى منه ـ فانقضوا على المسلمين تقتيلاً وتشريداً وخراباً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويسموا هذه المغامرة بالجهاد ، وهذا ليس هو الجهاد لأنه لم تتوفر شروطه ، ولم تتحق أركانه ، فهو ليس جهاداً وإنما هو عدوان لا يأمر الله عز وجل به .

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته وأن يقيم علم الجهاد ، فإن الجهاد ماض إلى أن تقوم الساعة حتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، فالجهاد ماض ولله الحمد ، إلى أن تقوم الساعة ، ما بقي هذا الدين فإن الجهاد سيبقى ، ويهيئ الله جل وعلا لهذا الجهاد وهذا الدين من يقوم به ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة :٥٤] .

فالجهاد باقٍ إلى أن تقوم الساعة ولكن لابد أن يكون متمشياً مع الضوابط الشرعية ، والحدود المرعية ، حتى يكون جهاداً صحيحاً ، ولا يكون فيه فوضى، ولا يكون فيه عدوان ، ولا يكون فيه جهل ، وإنما يكون جهاداً شرعياً ، فإذا كان الجهاد على الوجه المشروع فإنه سينتج النتيجة الطيبة كما حصل في صدر هذه الأمة لما جاهدوا في سبيل الله تحت رايات الجهاد وتحت أمر ولاة الأمور نشروا هذا في مشارق الأرض ومغاربها .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلي كلمته وأن ينصر دينه، وأن يخذل أعداءه، وصلى الله وسلم وعلى نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

الأسئلة

السؤال : أيهما أعظم جهاد العلم أم جهاد السيف ؟

الجـواب : العلم أولاً ، فلابد للإنسان أن يتعلم ما يستقيم به دينه، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد :١٩] فـبدأ بالعلم قبل القول وقبل العمل ، فالعلم أولاً ثم يكون العمل ومنه الجهاد ، حتى يكون جهاده على علم وعلى بصيرة ولا يكون على جهل وخطأ .

السـؤال : هـل السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية ؟

الجواب : نعم ، لا تكون جماعة للمسلمين بقيادة ولا قيادة إلا بسمع وطاعة، ولهـذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النسـاء : ٥٩] ، وقـال الـنبي ﷺ : «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ تأمَّـر عليكم عـبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** »[1] فأمر بالسمع والطاعة بعد تقوى الله سبحانه وتعالى .

السؤال: هل الخروج على الحكام يكون بالفعل فقط ، أم يكون بالقول أيضاً ؟

الجواب : الخروج على ولاة الأمور يكون بالاعتقاد وبالقول ويكون بالفعل؛ وإذا اعـتقد أنـه يجوز الخروج على ولاة الأمر وأنه لا طاعة عليه لهم ، إذا اعتقد هـذا ولـو لم يتكـلم بـه فإن هذا خروج على ولاة الأمور وخروج على السمع والطاعـة لـولاة الأمـور . وإذا تكـلم وقـال إن ولـي الأمر لا تجب طاعته فهذا

---

(١) رواه الدارمـي في سـننه ١/ ٤٥ في المقدمـة بـاب اتباع السنة. ورواه الترمذي في سننه ٥/ ٤٣ بـرقم (٢٦٧٦) كـتاب العـلم ، بـاب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع. ورواه ابـن ماجـة في سـننه ١/ ١٥ بـرقم (٤٢) في المقدمـة بـاب اتـباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين . كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ورواه غيرهم .

خروج بالقول وإذا حمل السلاح كان ذلك أشد وشقاً للعصا فهذا خروج بالفعل . فالخروج يكون بالاعتقاد وبالكلام ـ كأن يتحدث في المجالس ويسب ولاة الأمور ويقول هؤلاء ليس لهم سمع ولا طاعة ـ ويكون بالفعل وذلك بحمل السلاح على المسلمين وإمامهم .

السؤال : ما رأيكم فيمن يفتي الناس بوجوب الجهاد ويقول لا يشترط للجهاد والٍ ولا راية ؟

الجواب : هذا رأي الخوارج ، فلابد من راية ولابد من إمام وهذا منهج المسلمين من عهد رسول الله ﷺ ، والذي يفتي بأنه يكون بلا إمام ولا راية ، فهو خارجي متبع لمذهب ورأي الخوارج .

السؤال: ما رأي فضيلتكم فيمن يستدل بعدم إذن الإمام بقصة أبي بصير رضي الله عنه ؟

الجواب : أبو بصير رضي الله عنه ليس في قبضة الإمام ولا تحت إمرته ، بل هو في قبضة الكفار وفي ولايتهم فهو يريد أن يتخلص من قبضتهم وولايتهم فليس هو تحت ولاية الرسول ﷺ ؛ لأن الرسول ﷺ سلمه لهم بموجب العهد والصلح الذي جرى بينه وبين الكفار ، فليس هو في بلاد المسلمين ولا تحت قبضة ولي الأمر .

السؤال : ما حكم الجهاد في هذا الزمان وأين نجده ؟ وهل يجوز لنا أن نجاهد تحت راية حاكم كافر أو مبتدع ؟

الجواب : القتال إذا كان تحت راية كافر فهو ليس بجهاد ، وإنما تقاتل تحت راية المسلمين ومعه جماعة المسلمين .

السؤال : حديث البخاري : « الإمام جُنّة يُتّقَى به ويُقاتل من ورائه»[1] . هل هو دليل من يقول بوجوب أن يكون للجهاد إمام يعقد رايته ؟

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٢/ ٩١١ برقم (٢٩٥٧) كتاب الجهاد والسير ، باب يقاتل من وراء الإمام ويُتقى به من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الجـواب : نعـم ، هذا نص في الموضوع فالإمام سترة للمسلمين ، ويقاتل من وراء هـذه السـترة ، ولا شـك أن قـيادة المسـلمين وإمامة المسلمين نعمة عظيمة للمسلمين يقاتلون تحت رايتها ، والإمام يقيم الحدود ، ويؤدي الحقوق ، ويبسط الله به الأمن على البلاد فهو نعمة من الله عز وجل .

السـؤال : ذهـاب الـبعض إلى الجهـاد في أمـاكن متفرقة دون إذن الإمام هذا صحيح ؟

الجواب : لا يجوز لهم أن يخرجوا إلا بإذن الإمام لأنهم رعية والرعية لابد أن تطـيع الإمـام ، فإذا أذن لهم يبقى أيضاً إذن الوالدين ورضاهما في جهاد الطلب فـلا يذهـب إلا برضى والديه ؛ لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يريد أن يجاهد فقال لـه : « **أحـيٌّ والـداك ؟**» قـال : نعـم. قال : « **ففيهما فجاهد** »[1] ، فأرجعه إلى والديه ، فدل ذلك على وجوب إذنهما بعد إذن ولي الأمر .

السـؤال : إذا كـان لوالـدي أبـناء غيري وليس يحتاجني في شيء ولا مبرر له بعدم الإذن لي بالجهاد إلا خوفه عليَّ من الموت ، فما الحكم ؟

الجـواب : الحكـم أنـك تطـيعه ولـو كـان له مائة ولد ، فيجب عليك طاعته والبر به ، وهذا فيه الأجر والثواب .

السؤال : هل يجوز الخروج للجهاد بدون إذن الإمام إذا نال رضا الوالدين ؟

الجـواب : إذا أذن له الوالـدان بقـي إذن الإمـام . فلابـد مـن الأمرين : إذن الإمام ورضى الوالدين .

* * *

(١) رواه الإمـام الـبخاري في صـحيحه ٢/ ٩٢٣ بـرقم (٣٠٠٤) كتاب الجهاد والسير ، باب الجهاد بإذن الوالدين . من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما .

تعليق

سماحة الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

المفتي العام للملكة العربية السعودية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فقد تحدث فضيلة الشيخ / صالح في هذا المقام عن أنواع الجهاد وضوابط كل نوع ، وماذا يلزم المسلم في هذا الشأن ، وما هو الجهاد المتعين ، وما هو الجهاد غير المتعين ، وأجاب عن استفسارات السائلين بإجابات شرعية فيها البصيرة لمن يريد التبصر ، فإن هذه الموضوعات المهمة إذا تحدث عنها أهل العلم والفقه في دين الله ، تحدثوا عن بصيرة وعن علم وعالجوا هذه القضايا على وفق ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة ، وبهذا يستقيم حال الأمة إذا تلقوا عن علمائهم وذوي الفقه منهم الأحكام الشرعية وتلقوا التوجيهات النافعة التي تهديهم إلى الطريق المستقيم .

فكم من مفتٍ وكم من محاضر وكم من متحدث يقول ما لا علم له به ويتحدث عمن لا يدرك غايته ، وربما زلَّ لسانه بشيء فأخذها عنه من أخذها واغتر بها من اغتر فعادت على أولئك بالضرر المحض .

فأخذ العلم والفقه يكون من أهل العلم والفقه الذين إن تحدثوا تحدثوا بعلم، وإن سكتوا سكتوا عن علم ، وقالوا على الله بعلم ، ولم يكن الأمر تخرصاً ولا عواطف جيّاشة تسوقهم بلا بصيرة ولا رويَّة .

فمن سمع هذه المحاضرة وأصغى إليها سمعه ببصيرة وتأمل سيجد فيها الغاية من الاتزان والتبصر ، فيكون منطلقاً في أموره على دليل وهدى ، فإن الأمة إنما وقعت فيما وقعت فيه من البلاء لما أفتى الناس من لا يعلم وتحدث

من لا يفهم ، فهؤلاء الخوارج في عهد صحابة رسول الله ﷺ لما لم يقبلوا من أصحاب رسول الله ﷺ فهمهم ولم يصغوا إلى علمهم ، واغتروا بأنفسهم واعتدوا برأيهم ، وفهموا القرآن على غير ما فهمه أصحاب النبي ﷺ ، وكانوا كما أخبر النبي ﷺ حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام لا علم ولا بصيرة ، فضلُّوا وزاغوا عن طريق الهدى فاستباحوا دماء المسلمين وأموالهم رغم أن عندهم أصحاب رسول الله ﷺ أعلم الخلق وأفقههم في دين الله ، لكن الغرور والإعجاب بالنفس والانخداع بمن لا علم عنده أضلهم عن الطريق المستقيم ، ولو أخذوا العلم عن أصحاب رسول الله ﷺ وأصغوا إلى توجيهاتهم ونصائحهم ، كما أتاهم ابن عباس وناظرهم حتى رجع من رجع منهم ، وبقي على غوايته وضلالته من ليس قصده الحق إنما قصده الباطل والإضلال ، فلما أعرضوا عن علم الصحابة وتوجيهاتهم ضلوا.

وهكذا في كل زمان ومكان إذا أعرض الناس عن توجيهات العلماء الراسخين الناصحين ، وأخذوا العلم عن أناس مقبلين على العلم والفتوى بلا دراية ولا بصيرة ، فعندئذ يقود ـ هؤلاء ـ الناسَ إلى الهاوية ويوقعونهم في البلايا، فنسأل الله السلامة والعافية ، وجزى اللهُ الشيخَ بما قال خيراً ، وجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله على عبدالله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

المصادر والمراجع

١- سنن الترمذي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
٢- صحيح الإمام البخاري ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، وط. دار السلام ، الرياض .
٣- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، طبع حكومة الكويت ١٣٨٩هـ .
٤- صحيح الإمام مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، وط. دار السلام ، الرياض .
٥- سنن الدارمي ، الكتب العلمية ، دار إحياء السنة النبوية .
٦- سنن ابن ماجة ، المكتبة العلمية .
٧- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ.

* * *

سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب (٤)

التكفير وضوابطه

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة [١]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الموضوع موضوع مهم جداً ، وقد كثر الخوض فيه قديماً وحديثاً وهو مضلة أفهام ومزلة أقدام ، قد يفضي إلى التناحر وتفرق الأمة ، ألا وهو موضوع التكفير والتبديع والتفسيق بغير علم وبصيرة . ولخطورته اهتم به العلماء فألفوا كتباً في بيان نواقض الإسلام وحكم مرتكب الكبيرة التي هو دون تلك النواقض من أجل درء الخطر عن هذه الأمة ، وبيان الحق من الباطل في هذا الباب ، كي لا يتكلم فيه من لا يحسنه أو يدخل فيه من لا يتقن ضوابطه وأصوله ، أو يتساهل في شأنه من ليس عنده غَيْرة على دين الله فتتسرب العقائد الفاسدة والنحل الضالة إلى دين الله فيلتبس الحق بالباطل ويحسب على الأمة من ليس منها ويدخل في الدين ما ليس منه .

وهذا الباب لا يجوز أن يتكلم فيه من ليس عنده علم ومعرفة وبصيرة ولا يحكم بالكفر إلا على من كفره الله ورسوله لارتكابه ناقضاً من نواقض الإسلام المجمع عليها بين أهل العلم ومن ثم يجب على المسلم أن يتعلم قبل أن يتكلم وأن لا يتكلم إلا عن علم وإلا فإنه إذا كفَّر مسلماً يكون قد ارتكب جريمتين عظيمتين إحداهما أعظم من الأخرى ، وهي :

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بمدينة الجبيل الصناعية بجامع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٤هـ .

أنه قال على الله بغير علم ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام :٢١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، فجعل القولَ على الله بغير علم أشد من الشرك لأنه ذكره بعد الشرك ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء :٣٦] فحينئذ لابد أن يتعلم الإنسان قبل أن يتكلم، والعلم قبل القول وقبل العمل قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد :١٩] فدلَّ على أن العلم يكون قبل القول وقبل العمل ، فالقول الذي لا ينبني على علم ـ خصوصاً في أمور الدين ، وخصوصاً في أمور العقيدة ـ قول باطل ، وكذب على الله سبحانه وتعالى ، هذه هي الجريمة الأولى الخطيرة وهي القول على الله بلا علم .

الجريمة الثانية : أنه جنى على هذا المسلم ، فحكم عليه بالكفر وأخرجه من الإسلام وهذا يترتب عليه أحكام ؛ يترتب عليه ، أن زوجته تفارقه فلا تجلس معه ، ويترتب عليه أنه لا يرث ، ولا يورث ، ويترتب عليه أنه إذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدعى له ولا يدفن في مقابر المسلمين .

فالذي حكم عليه بالكفر بغير حق يتحمل هذه الأمور كلها ، لأنها تنبني على كلامه ، وعلى قوله ، فلابد من أن يتعلم الإنسان ما هي الأشياء التي تقتضي الكفر والردة ، لابد أن يتعلم ولا يتكلم بجهل ، أو يرى أن كل من

خالفه في رأيه يكفر ، مع أنه لا يكفر إلا من قام الدليل على تكفيره من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع المسلمين .

والعلم بهذا من أين يؤخذ ؟ هل يؤخذ العلم من الكتب ؟ ومن المطالعات ومن حفظ النصوص ؟

لا ، العلم لا يؤخذ إلا عن أهل العلم وعن العلماء الربانيين الراسخين في العلم ، لا يؤخذ العلم عن الكتب قراءة أو مطالعة ، ولا يؤخذ من حفظ النصوص وإن كثرت النصوص المحفوظة ، فليس كل من حفظ النصوص بأن حفظ القرآن وحفظ كثيراً من الأحاديث يكون عالماً . لا يكون بذلك عالماً ، إنما العالم هو الفقيه ، والعلم هو الفقه في دين الله عز وجل وهذا لا يكون إلا بالتعلم والتلقي عن الفقهاء وعن أهل العلم الذين يبينون له معنى هذه النصوص التي حفظها وطالعها ، وقد يكون فهم فهماً بعيداً لا علاقة له بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، ولو رجع لأهل العلم لتبيَّن له أنه قد أساء الفهم وغلط في تصوره ، إذ كان يجب عليه الرجوع إلى أهل العلم وتلقي العلم النافع عنهم حتى يكون الإنسان على بصيرة بما يقول وبما يعمل وبما يحكم به .

ثم أيضاً إذا تعلم وفقه في دين الله ، وعرف نواقض الإسلام ، وما هي الأشياء التي تخرج عن الإسلام فلابد أن يتثبت في حق الشخص قبل أن يحكم عليه ويصدر عليه الحكم بالكفر أو بالشرك أو بالخروج من الدين . لابد أن يتثبت في تطبيق الحكم الشرعي على هذا الشخص فينبغي أولاً التثبت في هذا ؛ وقد خرج جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في بعض الأسفار فمر عليهم رجلٌ يسوق غنماً فقال : السلام عليكم ، فبادروه بالقتل

أنه قال على الله بغير علم ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام :٢١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، فجعل القولَ على الله بغير علم أشد من الشرك لأنه ذكره بعد الشرك ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء :٣٦] فحينئذ لابد أن يتعلم الإنسان قبل أن يتكلم، والعلم قبل القول وقبل العمل قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد :١٩] فدلَّ على أن العلم يكون قبل القول وقبل العمل ، فالقول الذي لا ينبني على علم ـ خصوصاً في أمور الدين ، وخصوصاً في أمور العقيدة ـ قول باطل ، وكذب على الله سبحانه وتعالى ، هذه هي **الجريمة الأولى** الخطيرة وهي القول على الله بلا علم .

الجريمة الثانية : أنه جنى على هذا المسلم ، فحكم عليه بالكفر وأخرجه من الإسلام وهذا يترتب عليه أحكام ؛ يترتب عليه ، أن زوجته تفارقه فلا تجلس معه ، ويترتب عليه أنه لا يرث ، ولا يورث ، ويترتب عليه أنه إذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدعى له ولا يدفن في مقابر المسلمين .

فالذي حكم عليه بالكفر بغير حق يتحمل هذه الأمور كلها ، لأنها تنبني على كلامه ، وعلى قوله ، فلابد من أن يتعلم الإنسان ما هي الأشياء التي تقتضي الكفر والردة ، لابد أن يتعلم ولا يتكلم بجهل ، أو يرى أن كل من

خالفه في رأيه يكفر ، مع أنه لا يكفر إلا من قام الدليل على تكفيره من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع المسلمين .

والعلم بهذا من أين يؤخذ ؟ هل يؤخذ العلم من الكتب ؟ ومن المطالعات ومن حفظ النصوص ؟

لا ، العلم لا يؤخذ إلا عن أهل العلم وعن العلماء الربانيين الراسخين في العلم ، لا يؤخذ العلم عن الكتب قراءة أو مطالعة ، ولا يؤخذ من حفظ النصوص وإن كثرت النصوص المحفوظة ، فليس كل من حفظ النصوص بأن حفظ القرآن وحفظ كثيراً من الأحاديث يكون عالماً . لا يكون بذلك عالماً ، إنما العالم هو الفقيه ، والعلم هو الفقه في دين الله عز وجل وهذا لا يكون إلا بالتعلم والتلقي عن الفقهاء وعن أهل العلم الذين يبينون له معنى هذه النصوص التي حفظها وطالعها ، وقد يكون فهم فهماً بعيداً لا علاقة له بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، ولو رجع لأهل العلم لتبيَّن له أنه قد أساء الفهم وغلط في تصوره ، إذ كان يجب عليه الرجوع إلى أهل العلم وتلقي العلم النافع عنهم حتى يكون الإنسان على بصيرة بما يقول وبما يعمل وبما يحكم به .

ثم أيضاً إذا تعلم وفقه في دين الله ، وعرف نواقض الإسلام ، وما هي الأشياء التي تخرج عن الإسلام فلابد أن يتثبت في حق الشخص قبل أن يحكم عليه ويصدر عليه الحكم بالكفر أو بالشرك أو بالخروج من الدين . لابد أن يتثبت في تطبيق الحكم الشرعي على هذا الشخص فينبغي أولاً التثبت في هذا ؛ وقد خرج جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في بعض الأسفار فمر عليهم رجلٌ يسوق غنماً فقال : السلام عليكم ، فبادروه بالقتل

على ظنهم أنه كافر ، وأخذوا غنمه فتسرعوا في ذلك فأنزل الله جل وعلا قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء :٩٤][1] فلامهم سبحانه وتعالى وهم صحابة رسول الله ﷺ لما تسرعوا فالواجب التثبت وعدم التسرع في الحكم على الناس إلا عن بصيرة وروية .

وقامت جماعة من الصحابة في غزوة من الغزوات وفيهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما وعن أبيه حِب رسول الله وابن حِبه فحصلت المعركة بينهم وبين المشركين وهرب رجل من المشركين فلحق به أسامة ورجل من الأنصار يريدون قتله ولما أدركوه قال : لا إله إلا الله ، فلما قال لا إله إلا الله كف عنه الأنصاري ، لكن أسامة رضي الله عنه ظن أنه ما قالها إلا ليتقي بها القتل فقتله ظناً منه أنه إنما قال ليتقي بها السيف ولم يقلها صادقاً ، فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له ﷺ : « أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ ماذا تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » ثم رد عليه : « **أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟** » ثم رد عليه الثالثة : «**أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله** » قال يا رسول الله ، إنما قالها ليعوذ بها من السيف . قال : « هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنها قالها تعوذاً ؟ ماذا تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » قال :

---

(١) انظر : صحيح الإمام البخاري ٥/ ١٨٣ تفسير سورة النساء ، باب ﴿ **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً** ﴾ .

أسامة رضي الله عنه : فتمنيت أني لم أسلم قبل ذلك[١] ، من شدة ما رأى من إنكار رسول الله ﷺ عليه ، فدل على وجوب التثبت في الأمور وعدم التسرع في الحكم على الناس ، لابد أن يكون الحكم عن علم ولابد أن يحصل التثبت في حال الشخص ؛ فمن أظهر الإسلام ونطق بالشهادتين وجب الكف عنه كما تدل عليه هذه القصة العظيمة حتى يحصل منه ما يناقض الإسلام كأن يشرك بالله أو يدعو غير الله أو يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعروفة عند أهل العلم فحينئذ يحكم عليه بالردة .

وما دام لم يظهر منه شيء يخالف الإسلام فإنه يحسن به الظن ويحكم بإسلامه ، ولو حصل منه بعض المخالفات التي هي دون الشرك ودون الكفر كما لو حصل منه ذنب أو معصية فإنه لا يحكم بكفره حتى يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعروفة عند أهل العلم ولا يكون له عذرٌ ، فقد يكون جاهلاً وقد يكون حديث عهد بالإسلام ، ما عرف أن هذا الشيء كفر .

ولما خرج النبي ﷺ إلى غزوة حنين بعد فتح مكة خرج معه أناس من أهل مكة حدثاء عهد بالإسلام منهم أبو واقد الليثي رضي الله عنه ـ يعني أسلموا قريباً ـ فرأوا المشركين اتخذوا سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ـ يقال لها ذات أنواط ـ يتبركون بها ويعكفون عندها ، اعتقاداً أن فيها بركة ويعقلون بها أسلحتهم يتبركون بها فقال هؤلاء النفر ـ الذين هم حدثاء عهد بالإسلام ـ : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ٢١٤٣ برقم (٦٨٧٢) كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿ ومن أحياها .. ﴾ ، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

فالرسول ﷺ لم يحكم عليهم بالكفر لجهلهم، بل قال رسول الله : « **الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون** »[1] .

فالرسول ﷺ أنكر عليهم وبيَّن أن مقالتهم هذه مثل مقالة بني إسرائيل لموسى ، ولكن لما كانوا لا يعرفون الحكم بيَّن لهم ﷺ ذلك، وأنه من الشرك، لكن نظراً لكونهم جهالاً عذرهم بالجهل ، ولم يحكم عليهم بالكفر ، وكل من كان حديث عهد بالإسلام ولم تتح له الفرصة ليتعلم أحكام الإسلام وحصل منه ما حصل حتى ولو كان ظاهره الشرك والكفر فإنه يبيِّن له ويشرح له الإسلام وتبين له نواقضه ، فإن أصر ولم يترك هذا الشيء حكم بكفره .

فهذه الأمور يجب التثبت فيها لأنه ربما يكون الذي يصدر الحكم بالكفر جاهلاً يصدّر الأحكام على الناس عن جهل ، وربما يكون المحكوم عليه جاهلاً لا يستحق هذا الحكم حتى يبين له الأمور ، لابد فيها من تثبت ولابد فيها من روية ورجوع إلى أهل العلم وسؤال أهل العلم عن هذا الشيء وعن هذا الشخص .

كيف يحكم عليه وليس من حق كل أحد من الطلبة المبتدئين والقرّاء ليس من حقهم أن يكفروا ويخرجوا الناس من الدين وهم لا يعرفون نواقضه ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٢٥ برقم (٢١٨٩٧) ، ورواه الترمذي في سننه ٤/ ٤١٢ برقم (٢١٨٠) كتاب الفتن ، باب ما جاء « **لتركبن سنن من كان قبلكم** » ، كلاهما من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

فالأمر خطير جداً ، فعلى كل من وقع في شيء من ذلك أن يتوب إلى الله عز وجل وأن يكف لسانه عن التكفير وأن يتعلم قبل أن يتكلم وأن يسأل أهل العلم ويتفكر في الأمر وينظر في حال الشخص هل هو معذور أم غير معذور؟ فالأمور تحتاج إلى تفصيل وتحتاج إلى فقه في الدين ، ولأن تقتل شخصاً ـ مع أن القتل بغير حق جريمة عظمى ـ أخف من أن تحكم عليه بالكفر ، وقتل المؤمن عمداً فيه الوعيد الشديد ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣] .

هذه حرمة الدم ، وحرمة الدين أعظم فكونك تخرجه من الدين وتخرجه من الإسلام أشد من قتله عند الله سبحانه وتعالى ، لو أخذت ماله كله وصادرته هذا حرام قال ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام** »[1] لو أخذت ماله كله ظلماً وعدواناً فإن ذلك أخف من أن تحكم عليه بالكفر والردة وهو لا يستحق ذلك .

واعلم أنك إذا حكمت على شخص بالردة أو بالكفر أو قلت : يا كافر يا عدو الله يا منافق وهو لا يستحق هذا فإن كلامك يرجع عليك كما جاء في الحديث : « **من قال لأخيه يا كافر ، أو يا منافق ، أو يا خبيث أو يا عدو الله وهو ليس كذلك إلا حار عليه** »[2] أي إن إثم هذا الكلام القبيح يرجع إلى

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١/ ٦١ برقم (١٠٥) كتاب العلم ، باب ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائب . من حديث أبي بكرة رضي الله عنه

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١/ ٧٩ برقم (١١٢) كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم . من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

القائل ولا يرجع إلى المقول فيه إذا كان لا يستحق ذلك . فأنت إنما تجني على نفسك ، فاتق الله أيها المسلم واحفظ لسانك ولا تحكم بالكفر على من لا يستحق الكفر ولا تتسرع في الأمر وراجع أهلَ العلم والبصيرة في هذا الأمر قبل أن تصدر الحكم على أحد بالكفر ممن ظاهره الإسلام .

وأول من وقع في تكفير الأمة هم الخوارج ، والخوارج ظهرت فتنتهم على عهد النبي ﷺ حيث جاء رجل منهم إلى النبي ﷺ وهو يقسّم الفيء أي يقسّم الغنائم بعد رجوعه من حنين ، فقال له هذا الرجل : يا محمد، اعدل فإنك لم تعدل . فقال : « **ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ؟**» ثم قال ﷺ : «**سيخرج من ضئضئ هذا أناس تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وتحقرون صيامكم مع صيامهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية** »[١]؛ مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم للقرآن وذكرهم لله ، لكن لما صاروا يكفرون المسلمين حكم عليهم النبي ﷺ بالمروق من الدين ؛ لأنهم يكفرون من لا يستحق الكفر ، فمن حكم على أحد بالكفر وهو ليس كذلك فإنه من هؤلاء ، من الخوارج الذين قال ﷺ : « **أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٢] .

وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما حصلت المعركة بينه وبين أهل الشام في صفين طلب أهل الشام التحكيم ورفعوا المصاحف على

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ص١٧٢ برقم (٦١٦٣) كتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرجل ويلك . ط. دار السلام ـ الرياض .

(٢) تقدم قبل قليل .

الرماح يريدون أن يرجعوا إلى القرآن فقال علي رضي الله عنه : إن هذا خدعة . فقام الخوارج وكانوا موجودين في جيش علي رضي الله عنه فقالوا : لابد أن نتوقف عن قتالهم . قال علي رضي الله عنه : إنما هذه خدعة . قالوا : لا ، لابد أن نتوقف عن قتالهم ، فوقف عن قتالهم ، ثم شكلوا رجلين من الصحابة للحكم بينهم ، فلما حكموا ولم يرضَ الخوارج بحكمهم خرجوا على عليٍّ وكفّروه ، قالوا : إنك حكّمت الرجال . والله تعالى يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام :٥٧] حكمت الرجال فأنت كافر . فكفّروا علياً رضي الله عنه وكفروا أصحابه وخرجوا عن طاعته واجتمعوا في مكان يقال له حروراء ، فأرسل إليهم علي رضي الله عنه ابنَ عمِّه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فناظرهم عبدالله بن عباس وأجاب عن شبهاتهم وبيَّن خطأهم فرجع منهم ستة آلاف ، وبقي أكثرهم مصرّين على ضلالهم وعلى تكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومَنْ معه من الصحابة .

هذا أول مبدأ التكفير ، فقاتلهم علي رضي الله عنه في موقعة النهروان فنصره الله عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فنال بذلك الأجر الذي أخبر به رسول الله ﷺ[1] .

هذا أول تكفير في الإسلام ، ولكن لا يزال الخوارج يظهرون في كل وقت ويكفرون المسلمين ، وما زال المسلمون يقاتلنهم ، كلُّ مَنْ ظهر منهم قُتل . ولله الحمد .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٥/ ٧٢ وما بعدها ، ثم انظر ص٨٥-٨٨ وما بعدها .

ظهروا في عهد معاوية رضي الله عنه ، وظهروا في عهد عبدالملك بن مروان ، وظهروا في أوقات مختلفة في دول الإسلام ، وكلما ظهروا نصر الله المسلمين عليهم وهم كما قال النبي ﷺ : « **يقاتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان**»[1]، فلا يقاتلون الكفار ولكن يقاتلون المسلمين.

هذا حال الخوارج في كل وقت ، فمن تبنى هذا المذهب وكفَّر المسلمين وكفر حكام المسلمين أو كفر علماء المسلمين فإنه من هذه الطائفة الضالة ، يجب قتالهم لكن بعد أن يُدعوا إلى الرجوع إلى الحق ، فإن أصرُّوا فإنهم يقاتلون كما قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومَنْ جاء بعده من ولاة أمور المسلمين .

فهذه ظاهرة خطيرة وسيئة يجب على المسلم أن يخاف الله عز وجل وأن لا يحكم بالردة أو بالكفر على أحد بدون روية وبدون تثبت وبدون علم ، العلماء لا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله والراسخون في العلم لا يحكمون بالكفر إلا على من ثبت كفره وتبيّن كفره في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أما الجهال والمتسرعون وأنصاف المتعلمين فإن أرخص شيء عندهم التكفير فلا حول ولا قوة إلا بالله . وكل من خالف رأيهم أو خالف مذهبهم حكموا عليه بالتكفير ، هذه صفة قبيحة وصفة ذميمة.

ظاهرة التكفير زلة عظيمة يجب على من يخاف الله عز وجل إن كان جاهلاً فلا يجوز له الكلام بغير علم وإن كان عالماً فيجب عليه أن يتثبت ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً..﴾ برقم (٣٣٤٤) ص٥٥٧ دار السلام ، الرياض .

يقدم على هذا الحكم الخطير إلا بعد تثبت وروية ، والتأكد من أن هذا الشخص أو هذه الفئة أنها خارجة عن الإسلام ، فيجب على المسلم أن يمسك لسانه عن هذا الأمر الخطير فلا يجالس ولا يصاحب من هذه صفاتهم، لا يجالس هذه الطائفة المارقة التي تكفر المسلمين ؛ لأنه إذا جالسهم صار مثلهم ، بل عليه أن يفارقهم وأن يبتعد عنهم ، في غزوة تبوك جلس بعض المنافقين يتحدثون فيما بينهم فتحدثوا في الرسول ﷺ وأصحابه فقالوا: ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أكذب ألسنة ، ولا أرغب بطوناً ، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ـ ، وكان شابٌ من المؤمنين حاضراً معهم وقال للمتكلم: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ . أنكر عليهم لما في قلبه من الإيمان والغيرة على دين الله ، ثم ذهب ليخبر الرسول ﷺ فوجد الوحي قد سبقه ونزل على رسول الله ﷺ فأخبر الله تعالى الرسول ﷺ بما قالوه قبل أن يصل إلى الرسول ﷺ هذا الشخص ، والرسول ﷺ لما نزل عليه الوحي في شأن هؤلاء أمر بالرحيل من هذا المكان فرحلوا وركب النبي ﷺ راحلته .

وجاء هؤلاء إلى الرسول ﷺ يعتذرون ويقولون : يا رسول الله ، إنما هو حديث الركب ، إنما قلناه نسهل به عناء الطريق ، والرسول ﷺ لا يلتفت إليهم وهم متعلقون بنسعة ناقة الرسول ﷺ يقولون : يا رسول الله ، إنما هو حديث الركب نسهل به عناء الطريق . والرسول ﷺ لا يلتفت إليهم ويتلو قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾

[التوبة :٦٥-٦٦] ولا يلتفت إليهم ولا يزيد على ما قاله الله سبحانه وتعالى[١].

الشاهد من هذا أن الذي تكلم في هذا المجلس واحد والباقون ساكتون لم ينكروا عليه فحكم الله عليهم بالكفر جميعاً ما عداً هذا الذي قام واستنكر الأمر وذهب إلى الرسول ﷺ .

الحاصل أن الأمر خطير فلا يجوز للإنسان أن يجالس أو يصاحب أو يرافق هذه الطائفة المارقة التي تكفر المسلمين وتكفر ولاة أمور المسلمين من غير بصيرة ومن غير علم ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم فعلينا أن نبتعد عنهم وأن لا نستمع إلى أقوالهم ، وأن ننبذهم ونبتعد عنهم ولا نجالسهم ، هذا عن قضية التكفير .

أما قضية التبديع : فالتبديع مأخوذ من البدعة والبدعة في اللغة ما أحدث على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام :١٠١] أي موجدهما على غير مثال سابق حيث أوجد الله السماوات والأرض من العدم ، أما البدعة في الدين فهي ما أحدث في الدين من غير دليل كتاب الله وسنة رسول الله ؛ لأن العبادات توقيفية ـ ما يفعل منها شيء إلا بدليل ـ وليست العبادات مجالاً للاستحسان والرأي ، ما كان عليه دليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ فهو الدين وهو العبادة ، وما لم يقم عليه دليل فإنه بدعة ، قال ﷺ : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا**

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧١ وما بعدها .

فهو رد »[١] ، وفي رواية : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[٢]، وقال ﷺ : « إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة»[٣]، وفي رواية : «وكل ضلالة في النار»[٤] ، وذلك لأن الله تعالى أكمل الدين وليس بحاجة إلى الزيادة ، ما توفي الرسول ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] هذا نزل على الرسول ﷺ وهو واقف بعرفة يوم الجمعة في حجة الوداع أنزل الله عليه هذه الآية ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] ، وعاش النبي ﷺ بعدها واحداً وثمانين يوماً وتوفي ﷺ ، فما توفي ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين .

فمن جاء بعبادة ليس عليها دليل من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإنها بدعة مردودة على صاحبها مهما كان صاحبها من العبادة والزهد، من جاءنا

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ٢٢٩٢ معلقاً ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ﷺ من غير فحكمه مردود .

(٢) رواها الإمام البخاري في صحيحه ٢/ ٨١٩ برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود . من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩٢ برقم (٨٦٧) كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٤) رواها النسائي في سننه ٣/ ١٨٨، ١٨٩ كتاب صلاة العيد ، حديث رقم (١٥٧٨) من حديث جابر رضي الله عنهما .

بشيء وقال : هذا طيب ، وهذا عبادة ، هذا ذكر . ينظر إن كان عليه دليل ـ فعلى الرأس والعين ـ وإن كان ما عنده دليل رفضنا قوله ، وإن كان من أكثر الناس زهداً ، أو من أكثرهم علماً ، لا ننظر إلى الشخص وإنما ننظر إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ولا يمكن أن تحكم على شخص بأنه مبتدع إلا إذا أتى بشيء في الدين ليس عليه دليل من كتاب ولا من سنة رسوله ﷺ ، ولا تحكم على الناس بالبدعة إذا أتوا بشيء تجهله أنت أو لا تعرفه ، أنت لا تعرف كل الدين، ولا تعرف كل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، لا يجوز الحكم على الناس بالبدعة إلا إذا أتوا بشيء من الدين لم يوجد عليه دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فعليك بالتثبت ، لا تحكم على الناس بأنهم مبتدعة إلا بعد أن يثبت لديك بأن هذا الذي جاؤوا به ليس عليه دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو حكم عليه العلماء بأنه بدعة، فأنت تقول : قال العلماء بأن هذا بدعة ، أما أن تحكم بدون تثبت وبدون روية وبدون الرجوع إلى كلام أهل العلم فهذا أكبر غلط ، وهذا يسبب تفرقة بين المسلمين و يولد العداوة بين المسلمين ويسبب أضراراً كثيرة ويسبب إساءة الظن بين الناس بعضهم مع بعض فلا تبدّع أحداً بغير دليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين ، على أن هذا الأمر بدعة فحينئذ تناقش هذا الشخص وتبين له لعله فعل هذا عن جهل ، لعله قلّد أحداً يظنه حقاً ، لعل له عذراً ، تبين له فإن أصر بعد البيان فإنك تحكم بأنه مبتدع ؛ لأنه أصر على شيء ليس من الدين فيكون مبتدعاً ، فالأمر يحتاج إلى تثبت يحتاج إلى روية وعدم تسرع .

الآن كثر الجهل في الناس وكثر من يدّعون العلم وكثر القرّاء وقلَّ الفقهاء كما أخبر النبي ﷺ [١] ، فيجب على المسلمين أن يتثبتوا في الأمر ، وأن لا يتسرعوا في أحكام الدين وفي التكفير أو التبديع أو غير ذلك حتى يثبت عندهم الحكم الشرعي من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ ، أو بإجماع أهل العلم ، فهذا أمر خطير ولا يجوز لغير العلماء الكلام فيه ، هذا ما أحببت أن أقوله في هذه الجلسة ، وأسأل الله جل وعلا أن يفقهنا وإياكم في دينه ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بما علمنا.

أسأل الله جل وعلا أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) انظر موطأ الإمام مالك رحمه الله ١/ ١٧٣ برقم (٨٨) من كلام ابن مسعود رضي الله عنه ، كتاب قصر الصلاة ، باب جامع الصلاة .

الذين يقومون بأعمال التفجير خارجون على حكم الإسلام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ، وبعد :

فلا شك أن توافر الأمن مطلب ضروري والإنسانية أحوج إليه من حاجتها إلى الطعام والشراب ولذا قدمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه على الرزق فقال : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم :٣٧] ؛ لأن الناس لا يهنأون بالطعام والشراب مع وجود الخوف ولأن الخوف تنقطع معه السبل التي بواسطتها تنقل الأرزاق من بلد لآخر ولذلك رتب الله على قُطَّاع الطرق أشد العقوبات فقال : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة :٣٣] .

وجاء الإسلام يحفظ الضروريات الخمس وهي : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، ورتب حدوداً صارمة في حق من يعتدي على هذه الضرورات سواء كانت هذه الضرورات لمسلمين أو معاهدين ، فالكافر المعاهد له ما للمسلم وعليه ما على المسلم . قال النبي ﷺ : « **من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة** »[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيح كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم رقم (٣١٦٦) ص٥٢٧ ط. دار السلام – الرياض .

ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة :٦] ، وإذا خاف المسلمون من المعاهدين خيانة للعهد لم يجز لهم أن يقاتلوهم حتى يعلموهم بإنهاء العهد الذي بينهم ولا يفاجئوهم بالقتال بدون إعلام قال تعالى : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال :٥٨] والذين يدخلون تحت عهد المسلمين من الكفار ثلاثة أنواع : المستأمن وهو الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم لأداء مهمة ثم يرجع إلى بلده بعد إنهائها . والمعاهد الذي يدخل تحت صلح بين المسلمين والكفار ، وهذا يؤمن حتى ينتهي العهد الذي بين الفئتين ، ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليه كما يلا يجوز له أن يعتدي على أحد من المسلمين . والذي يدفع الجزية للمسلمين ويدخل تحت حكمهم والإسلام يكفل لهؤلاء الأمن على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، ومن اعتدى عليهم فقد خان الإسلام واستحق العقوبة الرادعة ، والعدل واجب مع المسلمين ومع الكفار حتى لو لم يكونوا معاهدين أو مستأمنين وأهل ذمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة :٢] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة : ٨] ، والذين يعتدون على الأمن إما أن يكونوا خوارج أو قطاع طرق أو بغاة وكل من هذه الأصناف الثلاثة يتخذ معه الإجراء الصارم الذي يوقفه عند حده ويكف شره عن المسلمين والمستأمنين والمعاهدين وأهل الذمة .

فهؤلاء الذين يقومون بالتفجير في أي مكان ويتلفون الأنفس المعصومة

والأموال المحترمة لمسلمين أو معاهدين ويرملون النساء ويتمون الأطفال هم من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة :٢٠٤-٢٠٦].

ومن العجيب أن هؤلاء المعتدين الخارجين على حكم الإسلام يسمون عملهم هذا جهاداً في سبيل الله ، وهذا من أعظم الكذب على الله ، فإن الله جعل هذا فساداً ولم يجعله جهاداً ، ولكن لا نعجب حينما نعلم أن سلف هؤلاء من الخوارج كفروا الصحابة وقتلوا عثمان وعلياً رضي الله عنهما ـ وهما من الخلفاء الراشدين ومن العشرة المبشرين بالجنة ـ قتلوهما وسموا هذا جهاداً في سبيل الله ، وإنما هو جهاد في سبيل الشيطان قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٧٦] ، وهؤلاء إن لم يكونوا كفاراً فإنه يخشى عليهم من الكفر وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت .

ولا يحمل الإسلام فعلهم هذا كما يقول أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين إن دين الإسلام دين إرهاب ويحتجون بفعل هؤلاء المجرمين فإن فعلهم هذا ليس من الإسلام ولا يقره إسلام ولا دين ، وإنما هو فكر خارجي قد حث النبي ﷺ على قتل أصحابه وقال : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم» ووعد بالأجر الجزيل لمن قتلهم[1] ، وإنما يقتلهم ولي أمر المسلمين كما قاتلهم الصحابة

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٣/١٦٢٨ برقم (٥٠٥٧) كتاب فضائل القرآن ، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكّل به ، أو فجر به . من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبعض المنافقين أو الجهال يزعم أن مدارس المسلمين هي التي علمتهم هذا الفكر وأن مناهج التدريس تتضمن هذا الفكر المنحرف ويطالبون بتغيير مناهج التعليم ، ونقول : إن أصحاب هذا الفكر لم يتخرجوا من مدارس المسلمين ولم يأخذوا العلم عن علماء المسلمين لأنهم يحرمون الدراسة في المدارس والمعاهد والكليات ويحتقرون علماء المسلمين ويجهلونهم ويصفونهم بالعمالة للسلاطين ويتعلمون عند أصحاب الفكر المنحرف وعند حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام من أمثالهم كماجهل أسلافهم علماء الصحابة وكفروهم .

والذي نرجوه بعد اليوم أن يلتفت الآباء لأبنائهم فلا يتركوهم لأصحاب الأفكار الهدامة يوجهونهم إلى الأفكار الضالة والمناهج المنحرفة ولا يتركوهم للتجمعات المشبوهة والرحلات المجهولة والاستراحات التي هي مراتع لأصحاب التضليل ، ومصائد للذئاب المفترسة ولا يتركوهم يسافرون إلى خارج المملكة وهم صغار السن ، وعلى العلماء أن يقوموا بالتوجيه السليم وتعليم العقائد الصحيحة في المدارس والمساجد ووسائل الإعلام حتى لا يدَعوا فرصة لأصحاب الضلال الذين يخرجون في الظلام وعند غفلة المصلحين .

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

الأسئلة

الأسئلة

السؤال ١ : يقول السائل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فضيلة الشيخ : نسمع أن فضيلتكم لا يُفصِّل في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة :٤٤] ونرجو الإشارة وجزاكم الله خيراً .

الجواب : لابد ـ إذا سمعتم عني أو عن غيري كلاماً ـ أن لا تقبلوا هذا الكلام حتى تطلعوا على كلام الشخص من كتبه أو تسمعوه من أشرطته ، أما مجرد النقل والشائعات عن الناس فلا تقبلوه ـ مني أو من غيري ـ لابد من إثبات من كتاب ألفه أو من شريط سجل من كلامه أو بالمشافهة تسألونه فيجيبكم عن ذلك ، أما الاعتماد على الشائعات فإن الكثير من الناس اليوم خف عليهم الكذب وصاروا يقولون على الناس ما لم يقولوا ، من أجل أن ينصروا ما هم عليه ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة : ٤٤] والنبي ﷺ يقول : « **كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع** »[1] ، فما كل ما سمعت يكون صحيحاً ولا تنسبه إلى أحد حتى تتأكد وتتثبت كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات :٦] وأنا لم أقل إن الحكم بغير ما أنزل الله بأنه كفر أكبر مخرج من الملة مطلقاً أنا أفصل بما يفصل به العلماء في هذه المسألة مما هو معروف في

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١/ ١٠ برقم (٥) المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « **كفى بالمرء كذباً ...** » .

كتب التفسير وفي كتب العقائد ، ليست مسألة مجهولة إنما هي مسألة مفصلة في كتب أهل العلم في التفسير ، وأقربها تفسير ابن كثير وفي كتب العقائد وأقربها شرح الطحاوية وغيرها .

السؤال ٢ : فضيلة الشيخ نرجو إرواء غليلنا في مسألة التكفير التي تنازع فيها العلماء ، والسؤال هل كل قول أو فعل يستوجب التكفير والإطلاق أم ينبغي التفصيل بمعنى أن الحاكم الذي يسن قوانين وضعية يحاد بها الله ورسوله نكفره بمجرد الفعل أم لنا أن نسأله وإذا أجاب بأنه مشغول ولا يستطيع تطبيق الشريعة فهل نقول بأنه مسلم فيه كفر وفسق وظلم أم نكفره ونخرجه من الدين ؟

الجواب : أنا أرشدتكم وأحلتكم على تفسير ابن كثير أو تفسير ابن جرير أو على شرح الطحاوية لابن أبي العز ، والحمد لله .

السؤال ٣ : ما الفرق بين الموالاة والمظاهرة للمشركين هل هي مكفرة أو غير مكفرة ؟

الجواب : الموالاة هي المحبة في القلب وأما المظاهرة فهي المعاونة ، أن يعين المشركين على المسلمين هذه هي المظاهرة .

السؤال ٤ : ما رأي فضيلتكم فيمن يكفر هذه الدولة ويتهم علماءها بالمداهنة ؟

الجواب : هذا من الذين يكفرون حكام المسلمين ويكفرون المسلمين بل يكفرون أفضل المسلمين وهم العلماء فهم من الخوارج ، لكن عليهم أن يتوبوا إلى الله عز وجل ويرجعوا إلى الصواب ويتركوا هذا الإثم العظيم .

السؤال ٥ : لقد كثر الكلام من البعض عن مسألة خطيرة لا يعرفها إلا العلماء الراسخون في العلم ألا وهي تكفير المعين فهل أشرتم إلى ذلك وفقكم الله ؟

الجواب : من فعل الكفر أو نطق بكلمة الكفر وهو غير مكره بل نطق بها مختاراً فإنه يحكم بكفره ؛ لأنه نطق بالكفر غير مكره أو فعل الكفر وهو غير مكره فيحكم عليه بالكفر ويدعى إلى التوبة .

السؤال ٦ : بالنسبة لبعض الدول المسلمة تبيح كثيراً من المنكرات كالمسكرات والزنا فهل يعد ذلك من الكفر البواح الذي يجيز الخروج عليهم؟

الجواب : هناك فرق بين من يستبيح ما حرم الله وبين ما يفعل ما حرم الله وهو غير مستبيح له كالذي يشرب الخمر وهو يعتقد أنه حرام، أو يأكل الربا وهو يعتقد أنه حرام، أو يزني وهو يعتقد أن الزنى حرام ، فهذا لا يكفر، هذا يكون فاسقاً ناقص الإيمان ، وإن كان عليه حد يطبق عليه الحد حد الزنا ، حد السرقة ، حد الشرب ، لكن لا يحكم بكفره لأنه لم يستبح هذا الشيء ، أما مَن استباح هذه الأشياء فإنه يكفر ؛ لأن من استباح شيئاً مجمع على تحريمه فإنه يكفر ولو لم يفعله فكيف إذا فعله .

السؤال ٧- : ما رأي فضليتكم في الصلاة خلف إمام مسجد يكفّر ولاة أمر هذه البلاد فهل يجوز الصلاة خلفه ؟

الجواب : إذا كان ما تقوله صحيحاً وثبت عليه أنه يكفّر ولاة الأمور في هذه البلاد فلا يُصلّى خلفه . والحمد لله طلبة العلم متوافرون ، وشؤون

المساجد على استعداد لتغييره ، لكن الشأن في إثبات ما تقول ، أما مجرد شائعة فلا يثبت بها حكم .

* * *

المصادر والمراجع

١- صحيح الإمام البخاري ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، وط. دار السلام ، الرياض .
٢- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ.
٣- سنن الترمذي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
٤- صحيح الإمام مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، وط. دار السلام ، الرياض .
٥- تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف ، القاهرة .
٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
٧- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
٨- موطأ الإمام مالك بن أنس ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٠هـ .

* * *

الفهارس

الموضوع	الصفحة
إذن خطي من المؤلف ـ حفظه الله ـ	٣
تقديم المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بحوطة سدير	٤
محاضرة : الفقه في الدين	٥
تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله	٢٨
أسئلة أُلقيت على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بعد تعليقه على المحاضرة	٣٨
حوار مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله حول (الفقه في الدين) أجرته معه جريدة الشرق الأوسط	٤٤
محاضرة : الاجتماع ونبذ الفرقة	٥٣
المقدمة	٥٥
حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ وبعده	٥٥
بيان أن الذي يجمع الناس ويؤلف بين قلوبهم هو الدين	٥٦
سرد الأحداث التاريخية بعد موت النبي ﷺ وما يتعلق بالخلافة	٥٧
ذكر الاختلاف بين المسلمين الذي كان قائماً قبل القرن الثاني عشر في جزيرة العرب وما آل إليه من وحدة البلاد بعد قيام دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله	٥٨
التذكير بنعمة الله والتحذير من دسائس الأعداء	٥٩
بيان أن الرد يكون لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عند الاختلاف	٦٠

الموضوع	الصفحة
بيان قول ابن مسعود رضي الله عنه : (الاختلاف شر) وبيان سببه	٦١
موقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من القول بخلق القرآن	٦١-٦٢
بيان حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : (دعانا النبي ﷺ فبايعناه)	٦٢
بيان حال الأمة اليوم وإنها في فتن متلاحقة، وتربص الأعداء بها	٦٣
بيان حديث « الدين النصيحة »	٦٤
بيان أن المسائل المصيرية لا يتناولها كل أحد	٦٤-٦٥
الأسئلة	٦٧
مقال بعنوان (أكثر من قضية) :	٧١
١- توجيه الشباب	٧١
٢- الحوار والمناظرة	٧٢
٣- الولاء والبراء	٧٣
محاضرة : الجهاد أنواعه وأحكامه	٧٧
مقدمة : الجهاد فضله وفوائده	٧٩
بيان موقف عموم الناس من الجهاد	٧٩
الجهاد في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وبعده، وبيان أنه قائم في الشرائع القديمة	٨٠
بيان أن الله شرع الجهاد وبدلاً من الهلاك العام وعقوبةً للكفار ، وبيان الحكمة من فرض الجهاد	٨٢
بيان أنواع الجهاد الخمسة : (النفس ، الشيطان ، العصاة من المسلمين ، المنافقين ، الكفار)	٨٣-٨٤
الأمر بقتال الكفار في شريعة الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ	٨٤

الموضوع	الصفحة
بيان أقسام الجهاد في سبيل الله	٨٦
القسم الأول : فرض عين ، وحالاته الثلاثة :	
١- قتال الدفع	٨٦
٢- إذا استنفر الإمام	٨٦
٣- إذا حضر القتال	٨٦
القسم الثاني : فرض كفاية (جهاد الطلب)	٨٧
ما ينبغي فعله قبل قتال الكفار ، وهدي النبي ﷺ في ذلك	٨٧
بيان من يأمر بالقتال وينظمه	٨٨
مسؤولية المسلمين في تبليغ دين الله	٩٠
متى يكون الجهاد كما أمر الله وأراده ؟	٩١
الأسئلة	٩٣
تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام للملكة العربية السعودية على المحاضرة	٩٦
محاضرة :التكفير وضوابطه	٩٩
المقدمة في بيان في أهمية الموضوع	١٠١
إثم من كفَّر مسلماً	١٠٢
من أين يؤخذ العلم الشرعي ؟	١٠٣
سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**﴾	١٠٤
بيان حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ في قتل من قال : (لا إله إلا الله)	١٠٤

الموضوع	الصفحة
التعليق على حديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ : (يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ..)	١٠٥
خطورة من قال لأخيه المسلم : يا كافر	١٠٧
أول من وقع في تكفير الأمة وصفاتهم	١٠٨
وقعة صفين وموقف الخوارج منها	١٠٨
ظهور الخوارج في كل عصر	١٠٩
ذكر قصة المنافقين الذين قالوا : (ما رأينا مثل قرائنا ..) والشاهد منها	١١١
بيان معنى التبديع وضابطه	١١٢
مقال بعنوان : الذين يقومون أعمال التفجير خارجون على حكم الإسلام	١١٦
الأسئلة	١٢٠

* * *